جُمْهُوْرِيَّة الْعِرَاقِ ديوانُ الوقفِ الشِيعّي

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيْمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسيّة المقدّسة

قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة

مركز تراث كربلاء

السنة السادسة/ المجلّد السادس/ العدد الثاني(٢٠)

شهر رمضان المبارك ١٤٤٠هـ / حزيران ٢٠١٩م

حديث مع الدعاة

للعلامة المصلح السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني ١٣٨٦هـ ١٩٦٧م

The Great Scholar and Reformer, Hibatul Deen Al-Shuhristaani (D.1386A.H./ 1967 A.D.) In A Talk With The Christian Missionaries

دراسة وتحقيق وتعليق:

الدكتور الشيخ عماد الكاظمي

مكتبة الجوادين عليهما السلام العامة – العتبة الكاظمية المقدسة

A Codex Investigated By:-

Dr. Sheikh Emaad Al- Kadhimi.

Al- Jawadain Public Library- Kadhimiya.

الملخص:

إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد أولت عناية بالشرائع السابقة، واستعرضت بعض أحكامها ومعتقداتها من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة، فالقرآن الكريم كان يدعو المسلمين إلى الإيمان بتلك الشرائع إجمالًا؛ لأنّها شرائع صادرة من الله تعالى لأنبيائه ورسله في تبليغ أقوامهم، فضلًا عن أنَّ جميع الشرائع تشترك في أصول العقيدة، وقد أمر الله تعالى باحترام الديانات والشرائع السماوية السابقة التي أنزلها الله تعالى قبل أنْ يطالها التحريف من قبل بعضهم، ولكن -وللأسف- تلك الشرائع التي أُنزلت لم يبقَ منها إلّا صحف محرّفة كتبت بأيدي أُناس بعيدين عن زمن نزولها ونسبوها إلى الأنبياء، فكان فيها ما فيها من الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام وشريعتهم، حتى عُدَّت تلك التحريفات عقائد تتوارثها أجيالهم فيعتقدون بها، ويعملون على أساسها، بل يدعون إليها في كُلِّ مناسبة، فأصبح حال الأمم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. وهذه الصفحات التي بين أيدينا والتي مضى على تأليفها أكثر من مئة عام هي خير مثال في الدعوة إلى الله تعالى، فالعلّامة السيّد «هبة الدين الحسيني الشهرستاني قدس سره» كان مثال العالم، العامل، المصلح، الذي يحاول في كُلِّ مناسبة أنْ يجسِّد للأمة مصداقيّة الدعوة الإلهية، من خلال بيان عقائد الشريعة المقدسة، ونبذ الزيف والخرافات والأباطيل التي يُراد الإلحاق بها وبيان فسادها، وفي هذه المحاورة اللطيفة لهذا الكتاب نرى مصداقيّة ذلك، والأسلوب العلمي القائم على الدليل العقلي والبرهان والفلسفة.

الكلمات المفتاحية: دعاة البروتستانت، هبة الدين، الشهرستاني.

Abstract

The holy Islamic law (Sharia) had much interest with the previous laws. It displayed some of their rules and rituals through the holy Quran and the prophet's instructions (Sunah). However, the holy Quran was calling people to believe in those laws as a whole for these laws belong to Allah for his prophets and messengers to inform their people. This is in addition to that all laws share the faith principles. Allah ordered to respect the previous heaven religions and doctrines that Allah descended before their deviation by some people. But, unfortunately, what is left only deviated verses written by people who are away from their time of descending and ascribed them to the prophets (p.b.u.t.) and their law, to the extent that these deviations became laws inherited from one generation to another. So, they not only believe in them and work according to their principles, rather propagate them in every opportunity. Thus the nations' situation became as Allah described "each sect exulting in its tenets".

The pages in our hands which was written before one hundred years is a good example of the call to Allah Almighty for the expert seyed Hibet ul Din Al Husseini Al Shehristani as an example of scholar, active man, and the reformer who tried, in every opportunity to embody to the nation the divine call reliability through stating the holy beliefs, dismissing forgery, myths, and absurd; and showing their corruption which were intended to ascribe to these beliefs. In this nice conversation of this book, we find reliability of that scientific style which based on the mental evidence, proof, and philosophy.

Key words: apostles, Hibet ul Din, Al Shehristani

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على النبيّ المصطفى الأمين، وعلى آله الأئمّة الهداة المعصومين.

إنَّ الشريعة الإسلاميّة المقدّسة قد أولت عناية بالشرائع السابقة، واستعرضت بعض أحكامها ومعتقداتها من خلال القرآن الكريم والسُّنّة الشريفة، فالقرآن الكريم كان يدعو المسلمين إلى الإيمان بتلك الشرائع إجمالًا؛ لأنَّها شرائع صادرة من الله تعالى لأنبيائه ورسله في تبليغ أقوامهم، فضلًا عن أنَّ جميع الشرائع تشترك في أصول العقيدة، والتي أساسها توحيد الله تعالى، بعد الاعتراف بخالقيّته، وهذا ما أكده القرآن الكريم في كثير من آياته الشريفة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[3] وغيرها من الآيات الشريفة التي أكدت ذلك، بل إنَّ القرآن الكريم قد دعا إلى التعايش السلميّ بين جميع الطوائف والديانات من خلال الاتفاق على العوامل المشتركة بينهم والتي منها، بل أهمّها وحدانيّة الله تعالى، إذ قال عزّ وجلّ في بيان التعامل

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٩.
(٢) سورة هود: الآية ٦١.
(٣) سورة الصافات: الآيات ١٢٣-١٢٦.

مع أهل الكتاب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾[١]، وفي ذلك دعوة صريحة إلى احترام الديانات والشرائع السماويّة السابقة التي أنزلها الله تعالى قبل أنْ يطالها التحريف من قبل بعضهم، ولكن -وللأسف- تلك الشرائع التي أُنزلت لم يبقَ منها إلّا صحف محرَّفة كتبت بأيدي أُناس بعيدين عن زمن نزولها ونسبوها إلى الأنبياء، فكان فيها كثيرة من الإساءة إلى الأنبياء عليهم السلام وشريعتهم[٢]، حَتَّى عُدَّت تلك التحريفات عقائد تتوارثها أجيالهم فيعتقدون بها، ويعملون على أساسها، بل يدعون إليها في كُلِّ مناسبة، فأصبح حال الأمم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٣].

بناء على ما تقدّم فإنَّه يستوجب على علمائهم أنْ يقوموا بدورهم في المجتمع من خلال إصلاح عقائده، ببيان عدم صحتها، وبطلانها، ولا يجوز الاعتقاد بها، من خلال الحكمة والموعظة الحسنة كما قال عزّ وجلّ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤]، وهذه الصفحات التي بين أيدينا

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢) لقد فصَّل العلاّمة الشيخ «محمّد جواد البلاغيّ» ما يتعلق بذلك بأسلوب علميّ من حيث بيان بطلان كثير من المعتقدات، وتحريف الشرائع السابقة. للتفصيل ينظر: التوحيد والتثليث، (دار المؤرخ العربيّ، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م)، البلاغيّ: الهدى إلى دين المصطفى، (مؤسسة الأعلميّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م)، الخوئيّ، أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن، (مط العمال المركزيّة، بغداد، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، د.ط): ٥٩-٦٥.

(٣) سورة الروم: الآية ٣٢.

(٤) سورة النحل: الآية ١٢٥.

هـي خير مثال في الدعوة إلى الله تعالى عملًا بالآية الشريفة، فالعلّامة السـيّد «هبة الدين الحسـينيّ الشهرستانيّ قدس سره» كان مثال العالم، العامل، المصلح، الذي يحاول في كُلِّ مناسـبة أنْ يجسِّـد للأمّـة مصداقيّة الدعـوة الإلهيّة، من خـلال بيان عقائد الشـريعة المقدّسة، ونبذ الزيف والخرافات والأباطيل التي يُراد الإلحاق بها وبيان فسـادها، وفي هذه المحاورة اللطيفة لهذا الكتاب نرى مصداقيّة ذلك، والأسلوب العلميّ القائم على الدليل العقليّ والبرهان والفلسفة، فضلًا عن الأسلوب الأدبيّ، والأخلاقيّ في التعامل مع أهل الديانات الأخرى، وسـوف يطلع القارىء بنفسه على ذلك خلال قراءته للكتاب، فضلًا عن المتعة في رحاب العلم والمعرفة.

ولأهميّـة الكتاب فقـد حاولت نشره مع تعليقات عليـه لغرض طباعته، فقد مـضى عـلى تأليفه أكثر مـن مئة عام، ولا ينبغـي لمثل هذا الـتراث أنْ يبقى حبيس صفحاتـه الصفراء المعرَّضة للتلف، وبذلك يضيع تـراث عظيم من تراث علمائنا الأعلام.

وقد قسـمت البحث على قسـمين، تناولت في القسـم الأوّل الدراسـة، وفي القسم الثاني تحقيق النص المخطوط والتعليق عليه.

في قسم الدراسة تمّ بإيجاز تسليط الضوء على أمور أربعة:

الأوّل: لمحة موجزة إلى سيرة السيّد الشهرستانيّ.

الثاني: أهميّة المخطوطة ومنهج السيّد في كتابته.

الثالث: النسخة المعتمدة في التحقيق.

الرابع: مراسـلات السيّد الشهرستانيّ مع الشـيخ محمّد رشيد رضا حول نشر الموضوع في مجلة(المنار).

وفي قسم التحقيق حاولت بيان ما يتعلّق بالمخطوطة من حيث المتن، وما يحتاج

إليه من بيان وتعليق، مع مراعاة منهج التحقيق فيه، وقد رجعت إلى مصادر مهمّة تبحث في الديانات عامّة، والنصرانيّة خاصّة، فضلًا عن الموسوعات الحديثيّة، والمعاجم، وأخيرًا أتقدّم بالاعتذار إلى القارئ الكريم عن كُلِّ قصورٍ، أو تقصيرٍ، أو إطالةٍ في بيانٍ أو تعليق من جانب، أو اقتصارٍ من جانبٍ آخر، ولكن تبقى الغاية عظيمة في إخراج هذه المخطوطات إلى عالم العلم والمعرفة، وأملي بالله تعالى أنْ أكون موفَّقًا في إحياء تراث علمائنا الأعلام، وأتقدّم بخالص شكري للسادة الكرام في مركز إحياء تراث السيّد هبة الدين الحسيني الشهرستاني الذين قدّموا لي نسخة المخطوطة للعمل عليها، فضلًا عن تصويرها.

إنّه مجيب الدعاء، والحمد لله ربّ العالمين.

القسم الأول: الدراسة

أوّلًا: لمحة موجزة إلى سيرة السيّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ

محمّد عليّ بن الحسين العابد ابن السيّد محسن الصرّاف ابن السيّد مرتضى الفقيه ابن السيّد محمّد العالم، ابن السيّد عليّ الكبير.

ويلّقب بـ«هبة الدين»، ولُقِّب بذلك إثر رؤية كريمة رآها السيّد «عليّ الشهرستانيّ المرعشيّ» في منامه للإمام «عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام» يقول له: إنَّ السيّد «حسين» قد رُزِق بولدٍ، فَقُلْ له ليُسَمِّه: «هبة الدين»، فإنّه اسم لم يتسمَّ به أحد من قبل، فجاء لأبيه ليبلّغه فقال: جئت لأبلّغك بالرؤيا. فقال أبوه متعجّبًا: يا سبحان الله! قبل نصف ساعة رُزِقت بولد وأسميته «محمّد عليّ». فقال له: أردفه بـ«هبة الدين» كما أسماه الإمام عليه السلام فاشتهر بهذا الاسم -هبة الدين- فيما بعد.

والده السيّد «حسين العابد»(ت١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م) من علماء كربلاء، ذو علم وخلق ودين، وأمّه السيّدة «مريم»(ت١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م) كانت من أَجَلِّ نساء عصرها، ومن الصالحات الفاضلات، ومن أكملهنَّ علمًا وأدبًا، واشتهر السيّد بـ«الشهرستانيّ» لمصاهرة والده الأسرة الشهرستانيّة.

ولد السيّد «هبة الدين» في سامراء ظهر الثلاثاء(٢٤ رجب ١٣٠١هـ/ ٢٠ آيار ١٨٨٤م)، وكان والده قد هاجر إليها من كربلاء؛ للإفادة من دروس آية الله العظمى السيّد «محمّد حسن الشيرازيّ (ت١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م)» عندما كان يتصدّى للمرجعيّة الدينيّة في سامراء.

ابتدأت دراسته على يدي والده أوّل أمره، ثمّ تتلمذ على أساتذة آخرين في سامراء وكربلاء والنجف، حَتَّى عُدَّ عَلَمًا من الأعلام.

قال عنه الشيخ «آقا بزرك الطهرانيّ» زميله في حلقة الدراسة والبحث واصفًا إيّاه: «وقد تميَّزَ منذ شبابهِ بيقظةٍ ووعيٍ، وطموحٍ وهمَّةٍ، ونزعةٍ إصلاحيّةٍ، وقد كانَ مخلصًا لدينهِ وقومهِ في كُلِّ ما قالَ وفعلَ، نقيَّ السريرةِ، يقدِّسُ الإيمانَ الصادقَ، والعقلَ النيِّرَ، ويذودُ عنهما بلسانهِ وقلمهِ، فقد عرفتُهُ يومذاكَ وزاملتُهُ في حلقاتِ دروسِ مشايخِنا «رحمهم الله»، فرأيتُ الإخلاصَ، والغيرةَ على الدينِ والإسلامِ، والعلمِ وأهلِهِ، دافعهُ الأوّل والأخير».[١]

وللسيّد «الشهرستانيّ» مواقف كبيرة في الجهاد ضد مستعمري البلاد الإسلاميّة، ومنهم الإنكليز عند احتلالهم العراق، وفي ثورة العشرين، وغيرهما من المواقف الكثيرة، وأمّا مشاريعه الكبيرة في وزارة المعارف، ومجلس التمييز الجعفري، وتأسيس الجمعيّات والمجلّات فهي كبيرة وعظيمة، فقد كان مشروعًا إصلاحيًّا متكاملًا في كُلِّ جوانبه، وداعيًا إليه في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، فلم يتأثّر ذلك النشاط بما أصابه من فقده لبصره، وهي داهية عظمى كما يصفها.

وللسيّد مؤلّفات كثيرة تربو على ثلاثمئة وخمسين مؤلَّفًا، طُبِعَ بعضها في حياته، وكثير منها مخطوط، وقد أصدرت مؤسّسته(مكتبة الجوادين العامّة) كراسًا لمؤلّفاته المخطوطة.[٢]

---

(١) الطهرانيّ، محمّد محسن «آقا بزرك»: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تح: عليّ نقيّ منزويّ، (مط الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٨م، د.ط) ج١ ق٤ ص١٤١٤.

(٢) الكاظميّ، عماد: فهرس مخطوطات السيّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ، (مكتبة الجوادين العامّة، الكاظميّة، ط١، ٢٠١٠م).

إنَّ السيّد «الشهرستانيّ» تربطه علاقات ثقافيّة وعلميّة جيدة مع كثير من علماء ومثقفي الديانات والمذاهب الأخرى لما يراه من وجوب إقامة تلك العلاقات لبناء إنسانٍ حُرٍّ غير مقيّد وأسير لما يؤمن به فقط، إذ يمكنه الاعتقاد بما يراه مع احترامه لمعتقدات الآخرين، وعدم الاعتداء عليها، وهذه الدعوة تحتاج لأجل تحقيقها إلى كثير من العناء والجهاد، وكانت سيرته كذلك، فعلاقته مع أبناء الديانات الأخرى كانت واضحة من خلال حضور بعض مناسباتهم ومجالسهم الثقافية، وفي ذلك نذكر مثلًا ما قاله قدس سره: «لقد جمعنا حفل ببغداد إلى بعض فضلاء الذمّيين، والمذياع يتلو علينا هذه الآية[١] فأُعجب [الذمّي] ببلاغتها، وبجودة تلاوتها، فحدّثته أنَّ أحد العلماء سمع جارية فأعجبته فصاحتها وبلاغتها، فقال: ما أبلغك من ناطقة !! قالت له الجارية: صه يا شيخ، ما ترك القرآن لغيره ظهور البلاغة، أما سمعت آية ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ كيف جمعت على وجازتها أبدع الإيجاز.... فطار الذمّي طربًا وفرحًا من شدّة إعجابه واستغرابه بهذه الآية وما حوت من فنون البلاغة، وقوّة الإعجاز»[٢]، وما سنراه في هذا الكتاب هو دليل على ذلك، فضلًا عن تأثيره بغير المسلمين، وبيانه لحقيقة الشريعة الإسلامية المقدسة، فكان من آثاره على سبيل المثال تأسيسه الجمعية الإسلامية في ألمانيا بعد إسلام عدد منهم على يديه[٣]، وإسلام شاب يهودي على يديه بعد بيانه لحقيقة الديانة اليهودية

(١) وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. سورة القصص: الآية ٧.

(٢) الشهرستانيّ، هبة الدين: المعجزة الخالدة، (مط الميناء، بغداد، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، د.ط): ٣٤.

(٣) للتفصيل ينظر: البهادليّ، محمّد باقر: السيّد هبة الدين الشهرستاني آثاره الفكريّة ومواقفه السياسيّة، (مط دلتا، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م): ٢٣١.

والإسلامية ووجوب الاعتقاد الصحيح.[١]

وقد كان السيّد «الشهرستانيّ» يرى أهمية الاطلاع على معتقدات الديانات الأخرى، وبيان ما يتعلّق بها من متناقضات، وإبطالها بأسلوب علميّ وعقائديّ، من أجل إقامة الحجّة عليهم من جانب، وتحذير الآخرين من الإيمان بمثل تلك المعتقدات الباطلة التي يروِّج لها المبشّرون النصارى آنذاك من جانب آخر، وهذا نراه بارزًا في كتاباته ومؤلّفاته، وقد ألَّف في ذلك ما ورد في فهرس مؤلّفاته(نقض العهود أو نقد النصارى واليهود)، و(مسيح الأناجيل)، فضلًا عن بيانه لذلك في تفسيره للآيات الشريفة المتعلّقة باليهود والنصارى.

توفي فجر الاثنين(٢٦ شوال ١٣٨٦هـ/ ٦ شباط ١٩٦٧م) عن عمر بلغ خمسة وثمانين عامًا، ودفن في الروضة الكاظميّة المقدّسة وسط مؤسّسته الثقافية(مكتبة الجوادين العامة).[٢]

ثانيًا: أهمية المخطوطة ومنهج السيّد في كتابته.

لا يخفى أهمية هذا الكتاب وما تضمّنته من محاورات ونقاش، فمن حيث أهميتها فالسيّد يسلّط الضوء على بعض عقائد النصارى ويبيّن بطلانها بأسلوب بسيط على وفق المنهج العلميّ، وفائدة ذلك ليتعرّف الآخرون عليها من خلال عالِمٍ من علماء المسلمين ومناظرته لعدد من المبشِّرين لمعتقداتهم، فالسيّد كان قد

(١) للتفصيل ينظر: مجلّة العلم، السنّة الثانية، العدد التاسع، ص٤١٩ (إسلام يهوديين في بغداد).

(٢) للتفصيل ينظر: عماد الكاظمي: علوم القرآن الكريم في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، مركز تراث كربلاء، العتبة العباسية المقدسة، ٢٠١٧م.

تنبَّه إلى هذه الأساليب التي انتشرت آنذاك من خلال التبشير عن طريق المنظّمات والجمعيات الصحية والإنسانيّة، فضلًا عن وسائل الإعلام المختلفة التي تنشر عقائدهم والدعوة إليها، فكُلُّ ذلك كان من أهم الأسباب التي أسّس من أجلها مجلّته «العلم»، وقد صرّح بذلك إذ يقول في جوابه لأستاذه شيخ الشريعة «فتح الله الأصفهانيّ(ت١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)»: «أشرفتُ برهةً من العمر على أعمال المُبَشّرين ودعاة الأديان، المنتشرين في بلاد المسلمين وغيرهم، وتشكيلهم الجمعيات الدينيّة، وإرسالهم البعثات، وتأسيسهم للمكاتب والمكتبات، والملاجىء والمستشفيات، ونشرهم ألوف الجرائد والمجلّات، وبذلهم ما استطاعوا من القوّة في سبيل ترويج دينهم، وتحوير عقائد البسطاء بكُلِّ وسيلة...».[1]

إنَّ المتأمّل في كتابة السيّد يرى بوضوح سهولة اللغة المستعملة في الحوار، وأدب الحوار والمناظرة، والهدوء والاطمئنان في طرح الأفكار وردّها، وإقامة الحجّة على القوم من أقوالهم، وإحاطته بعقيدة النصارى وفلسفتهم، فضلًا عن العلوم الأخرى، ونرى بوضوح تأثّر الذين كان يتحدّث معهم، وإنْ لم يعترفوا بذلك بصريح كلامهم، ولكن يمكن استشراف ذلك من خلال المحاورات التي كانت تجري بينهم من جانب، ومع السيّد «الشهرستانيّ» من جانب آخر، فضلًا عن المسائل الجانبيّة التي كانوا يطرحونها عليه بين حين وآخر خروجًا عن الموضوع الأساس في المحاورة.

(١) للتفصيل في بيان همّة السيّد في الدفاع عن الشريعة المقدّسة ورد دعوات المبشّرين ينظر: الكاظميّ، عماد: الدور الرساليّ للصحافة النجفيّة في نشر الثقافة الإسلاميّة – مجلة العلم أنموذجًا–، (الناشر: معالم الفكر، بيروت، ط١، ٢٠١٥م): ٢١-٢٢

وأهم الموضوعات التي تناولتها المخطوطة:

١. قدسيّة الإنجيل.

٢. روح القدس.

٣. المسيح ابن الله.

٤. رجوع المهديّ ونزول عيسى عليه السلام.

٥. موضوعات عامّة.

ولا يخفى أنَّ السيّد "الشهرستانيّ" قد ذكر في هذه المخطوطة ما دار بينه وبينهم من نقاش حول هذه الموضوعات بإيجاز، وبما يلائم النقاش في مجلس، وهذا ما بينه لعنوانه بقوله: (بحثنا مع الدعاة البروتستانتيين)، أو(حفلة أنس في بغداد مع رفقة فضلاء)، أو(حفلة وداد) كما وصفها، وقد سطّرها في كتابه كما جرت، ولم يجرِ عليها تعديلات، أو شروح تفصيلية تغني الموضوع دراسة، ولعلّه للحفاظ على أصل النقاش والموضوع من التشعُّب، والبقاء عليها حواريّة موجزة تسهل على القُرَّاء فهمها، وهذا ما يؤكّده قيامه بنشرها في مجلّة «المنار» المصريّة كما سيأتي، فضلًا عن أثر الصيغة الحواريّة في طرح الموضوعات وما لها على المتلقّي من اهتمام أكثر من السرد العام للموضوع، وقد كان السيّد في وصفه للجلسة والقوم دقيقًا، فقد ذكر ما يتعلّق بصفاتهم، وأخلاقهم، ولباسهم في المقدّمة، وكأنَّ القارىء لهذه الحواريّة ينظر إلى مشهد تصويريّ أمامه.

ثالثًا: النسخة المعتمدة في التحقيق.

المخطوطة كاملة، لها نسخة واحدة في خزانة مخطوطات السيّد الشهرستانيّ في «مركز إحياء تراث السيّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ»، وتحمل التسلسل(١٨٧) ضمن المجموعة الرابعة والعشرين التي تضم كتابًا آخر

ومجموعة أوراق، وهي التي تمّ اعتمادها في الدراسة و التحقيق والتعليق.

ومواصفاتها:

- عدد الأوراق ١٣.
- عدد الأسطر ٢٠.
- الطول: ٢١ سم.
- العرض: ١٣ سم.
- وهي بخط: المؤلّف السيّد هبة الدين الشهرستانيّ. وعليها بعض التصحيحات منه.
- تأريخ الكتابة أو التأليف: ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

-أوّل المخطوطة: قَضَيْنَا حُزَيْرَانَ هَذِهِ السَّنَةِ فِي مَدِينَةِ السَّلامِ نَتَجَوَّلُ فِي مَحَافِلِ فُضَلائِهَا الأَعْلامِ، نَسْتَفِيدُ مِنْ مَوَائِدِ فَوَائِدِهِمْ، وَنَسْتَأْنِسُ مِنْ طِيبِ أَخْلاقِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ، وَمِنْ جُمْلَةِ الأَنْدِيَةِ العِلْمِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، أَوِ الحَفلاتِ الأُنْسِيَّةِ الوداديَّةِ حَفْلَتَانِ شَرِيفَتَانِ...

- آخرها: فَيَسَّرَ المَوْلَى لِطُلّابِ الخَيْرِ كُلَّ عَسِيرٍ، وَقَابَلَ أَهْلَ المَعْرُوفِ بِكُلِّ جَمِيلٍ، وَهُوَ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

رابعًا: السيّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ ومجلّة (المنار).

إنَّ السيّد «الشهرستانيّ» قد أرسل هذه الصفحات لحديثه مع الدعاة إلى الشيخ «محمّد رشيد رضا»(ت١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) والذي يعدّ أحد رواد الفكر في مصر آنذاك؛ وكانت بينه وبين السيّد الشهرستانيّ مراسلات من أجل نشرها في مجلّة «المنار» التي تصدر بـ«مصر»، وكان السيّد يهدف إلى إطلاع أكبر عدد من القُرّاء

مـن المسـلمين والنصارى وغيرهما على هـذه المناظرة، وعموم الفائـدة منها، وقد نُشِرَت تحت عنوان«مناظرة عالم مسـلم لدعاة البروتستانت في بغداد» وجاء فيها: «تنشـر المجلّات الدينيّة التي يصدرها دعاة النصـرانيّة مناظرات خياليّة، يُصَوِّرون وقوعها بين بعض المسـلمين وبعض النصارى، يَدَّعون فيها أنَّ المسلم يذعنُ لكُلِّ ما يقولـه له النصرانيّ، فلا يكون إلّا محجوجًا في كُلِّ مسـألة، ومنها مناظرة رأيتها في هذه الأيام منشـورة في مجلة الشـرق والغرب، ادّعى فيها النصـراني أنَّ القرآن فـرض العقـاب - أي الدنيويّ- على المرتـدّ والحبس على المرتدّة! وأجاز المسـلم ذلـك وقبله، وهو لا أصل له، وها نحن أولاء ننشـر لهـم مناظرة حقيقيّة بين عالم مسـلم مشهور وهو السـيّد «هبة الدين» صاحب مجلّة «العلم» في «النجف» وبين قُسُوسهم في «بغداد»، وهو الذي اختار نشرها في «المنار» على نشرها في مجلّته؛ لأنَّ «المنار» كما قال أوسع انتشارًا، وهذا نصّها....».[١]

وفي ختام المقال كان هناك اعتراض أو عتاب من الشـيخ «محمّد رشـيد رضا» على السـيّد «هبة الدين» بسـبب دعائه في آخر رسـالته، فقـال: «ليتأمّل المنصفون مبالغة المسـلمين في التسـاهل والتسـامح، فهذا عالم من شرفائهـم يثني على دعاة النصرانيّـة، ويتمنّى لهم النجاح ويدعو لهم بـه[٢]، وهو يعلم أنهَّم لا يقصدون من التطبيب إلّا دعوة المسـلمين إلى دينهم، ولكنّه لا يعلم أنَّ بعض قسوسـهم صَرَّح

(١) وقد نشـر الموضوع كاملاً في المجلد(١٤)، الجزء(١٢)، ص٩١٤-٩٢٢، في ٣٠ من ذي الحجّـة عام ١٣٢٩هـ/ ٢٠ ديسـمبر ١٩١١م، من غير وجـود لبعض الهوامش التي وضعها السيّد «الشهرستانيّ» في المخطوط.

(٢) ويقصد بذلك قول السـيّد في آخر حديثه مع الدعاة: «فَيَسَّـرَ المَوْلَى لِطُلّابِ الخَيْرِ كُلَّ عَسِيرٍ، وَقَابَلَ أَهْلَ المَعْرُوفِ بِكُلِّ جَمِيلٍ، وَهُوَ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ».

ببعض مقاصدهم، فقال: إنَّ طريق الشيطان لا ينقطع إلّا إذا زال الإسلام من جزيرة العرب».[١]

وقد أجاب السيّد «الشهرستانيّ» الشيخ «محمّد رشيد رضا» في رسالة أرسلها إليه، وقد جاء فيها: «ولقد زرت[٢] بعد حين من الدهر العدد(١٢) فقط من مجلّتكم المقدّسة وتشكّرت فضلكم في درج مقالة احتجاجي مع دعاة النصرانيّة ببغداد.... لكن قولكم في صفحة(٩٢٢) من هذا الجزء«فهذا عالم من شرفائهم يثني على دعاة النصرانيّة، ويتمنّى لهم النجاح، ويدعو لهم به، وهو يعلم أنّهم لا يقصدون من التطبيب إلّا دعوة المسلمين إلى دينهم.. إلخ»، هذا والحالة أنّني ما نقلت وما نشرت تلك المطالب إلّا لاستنهاض المسلمين، وتحريك أفكارهم، وليس في مقالتي تلك دعاء لهم بالنجاح -والعياذ بالله- غير أني ذكرت هناك ما هذا نصّه: «فيَسَّر المولى لطلّاب الخير كلّ عسير، وقابل أهل المعروف بكلّ جميل، وهو الهادي إلى سواء السَّبيل» ولا يخفى على فطنة تلامذتكم أنَّ هذا دعاء نوعي، وعلى وجه عام كُلِّي، ينصرف إلى ما هو أهله في الحقيقة، ولا يختلف فيه اثنان... وبالإجمال فإنَّ تلك الفقرة في تعليقكم الزاهر ممّا يتّخذه أعداؤنا الخرافيّون ممسكًا يتشدَّقون به، وإنْ كان صدورها عنكم لمجرّد الاحتجاج على متعصبي كُتَّاب النصارى، والاستشهاد بتسامح كُتَّاب المسلمين، فالانتقاد ليس على قصدكم، إذ هو مقدَّس عندي معلوم»[٣].

من خلال ما تقدّم نلاحظ قوّة البيان التي يمتلكها السيّد «الشهرستانيّ» في بيان حجّته والإجابة على صاحب «المنار»، فضلًا عن الأدب الرفيع في المحاورات

(١) المجلد ١٤ ج ١٢ ص٩٢٢.
(٢) هكذا في الأصل، والمراد بها طالعت.
(٣) مجلة الموسم، السنة١٨، العددان ٦١-٦٢، ص٤٥٦.

العلميّة التي تجري بين العلماء على الرغم من فارق العمر بينهما، فقد كاتب السيّد «الشهرستانيّ» الشيخ «محمّد رشيد رضا» وهو يبلغ من العمر ٢٥ عامًا، ويبلغ الشيخ ٤٦ عامًا، وفي ذلك درس بليغ.

أخيرًا لم أذكر في الدراسة ما يتعلّق بعقائد المَسِيحيَّة، ونظرة المسلمين إلى ذلك، والاختلافات الواردة بين طوائفهم، ورجالاتهم، ودور الكنيسة في ذلك، ومراحلها خوف الإطالة والخروج من البحث، ولكن يمكن للباحث عن ذلك بإيجاز مراجعة المؤلّفات الآتية، وقد اطلعت عليها ولكن لم أذكرها على الرغم من أهميّتها، وهي:

١. الملل والنحل للشهرستانيّ.

٢. مائة مقالة سلطانية للسيّد محمد سلطان الواعظي الشيرازي، ترجمة الشيخ فاضل الفراتي.

٣. التوحيد و التثليث، للعلّامة الشيخ محمد جواد البلاغي.

٤. الهدى الى دين المصطفى، للعلّامة الشيخ محمد جواد البلاغي أيضًا.

٥. التوضيح في بيان ما هو الإنجيل ومن هو المسيح، للعلّامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

٦. موسوعة الأديان(المَسِيحيَّة) للدكتور أحمد شلبي.

٧. محاضرات في الأديان والمذاهب للدكتور إبراهيم العاتي.

٨. المَسِيحيَّة نشأتها وتطوّرها لشارل جيبير، ترجمة الشيخ عبد الحليم محمود.

٩. المسيح في مصادر العقائد المَسِيحيَّة للمهندس أحمد عبد الوهاب.

١٠. الإسلام والمَسِيحيَّة للدكتور أليسكي جورافسكي.

١١. ماذا تعرف عن المَسِيحيَّة لعبد الفتاح حسين الزيّات.

١٢. نظرة عن قرب في المَسِيحيَّة لباربارا براون ترجمة مناف حسين الياسري.

١٣. قصة الاضطهاد الدينيّ في المَسِيحيَّة والإسلام للدكتور توفيق الطويل.

١٤. الدراسات الإسلامية المسيحية اليهودية المقارنة للسيد سامي البدري.

إنَّ هذه المؤلّفات –وهي نزر يسير للإشارة– تعطي صورة إجماليّة تارة، وتفصيلية تارة أخرى عن المَسِيحيَّة وعقائدها وما يتعلّق بها، ولكن لا بدّ من التدقيق والتمحيص فيما يتمّ طرحه من أفكار من قبل المختصين في دراسة الأديان، وقد اعتمدت «موسوعة الكتاب المقدّس» الصادرة عن دار «منهل الحياة» في لبنان في الرجوع إليها عند الحاجة إلى تعريف بعض المصطلحات والشخصيات.

وعند التحقيق و التعليق على المخطوطة عملت بما يتطلب القيام به في التعامل مع المخطوطات، وكتب التراث في تحقيقها، ويمكن إجماله بما يأتي:

١. نسخ المخطوطة ومقابلتها مع النسخة الأصليّة، وجمع الموضوعات المختصّة تحت عنواناتها التي وردت في أصل المخطوطة من دون أي إضافة أو تغيير، إلّا في موردٍ واحد وتمّت الإشارة إليه في الهامش.

٢. ضبط النص وما أُشكل من كلمات، ووضع علامات الترقيم، وزيادة بعضِ الكلماتِ التي يحتاجها النصّ ليكون مستقيمًا، وقد وضع ذلك بين قوسين معقوفين [ ] إشارة إلى الزيادة من الباحث، ووضع الجمل الاعتراضيّة التوضيحيّة بين شارحتين – –، فالمؤلِّف وضعها بين قوسين ()؛ لئلّا تشتبه بنصوص الاقتباس.

٣. تصحيح الكلمة التي وردت خطأ في المتن مع الإشارة إليها في الهامش، وعدم تكرار ذلك في الكلمات التي ورد إملاؤها بشكلٍ مخطوءٍ كثيرًا، وقد تم تصحيح مصطلح(البروتستانيين) الوارد في العنوان الثانوي إلى(البروتستانتيين).

٤. كتابة الآيات القرآنية مُشَكَّلة، وبالرسم القرآنيّ، داخل قوسين مزهّرين على شكل ﴿ ﴾، وتخريجها بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

٥. تخريج الأحاديث الشريفة من مصادرها، مع توثيق ذلك من الموسوعات الحديثيّة، مع الإشارة إلى المصدر في الهامش.

٦. ضبط الكلمات الغريبة وبيان معانيها بالرجوع إلى المصادر المختصّة.

٧. التعليق على الموضوعات المهمّة التي تحتاج إلى تعليق، أو توضيح وبيان؛ لتأكيد الموضوع، وحلّ مشكله، وزيادة في البيان والاستدلال والتوضيح.

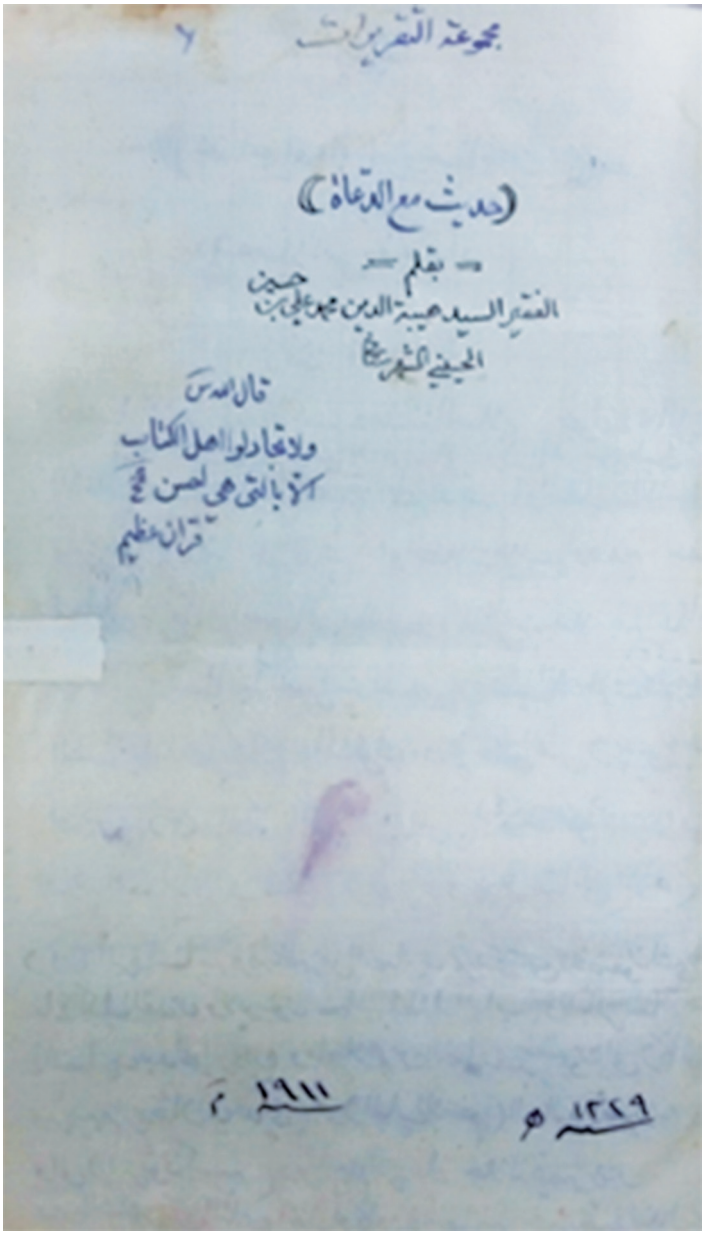
مجموعة التقريرات

(حديث مع الدعاة)

بقلم
الفقير السيد هبة الدين محمد علي بن حسين
الحسيني الشهرستاني

قال الله تعالى
ولا تجادلوا أهل الكتاب
إلا بالتي هي أحسن
قرآن عظيم

سنة ١٣٢٩ هـ
سنة ١٩١١ م

الورقة الأولى للمخطوطة

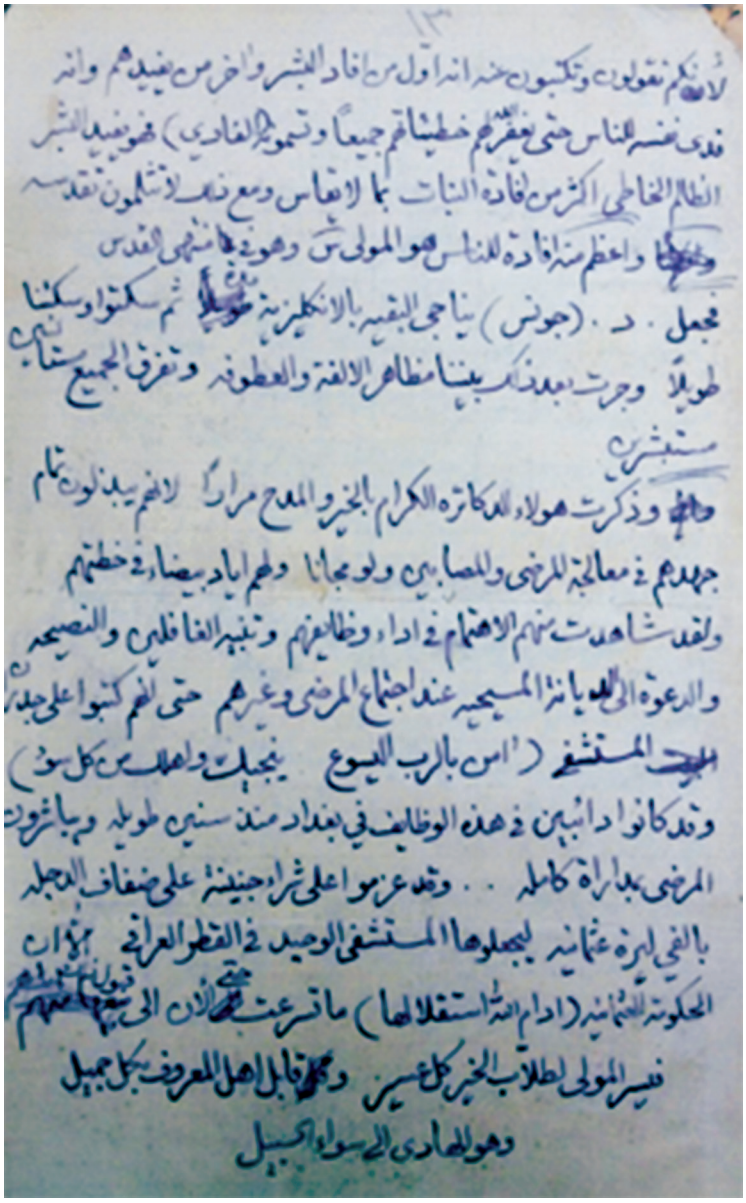

الورقة الأخيرة للمخطوطة

القسم الثاني: النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

قَضَيْنَا حُزَيْرَانَ هَذِهِ السَّنَةِ[١] في مَدِينَةِ السَّلامِ[٢] نَتَجَوَّلُ في مَحافِلِ فُضَلائِهَا الأَعْلامِ، نَسْتَفِيدُ مِنْ مَوَائِدِ فَوَائِدِهِمْ، وَنَسْتَأْنِسُ مِنْ طِيبِ أَخْلاقِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ.

وَمِنْ جُمْلَةِ الأَنْدِيَةِ العلمِيَّةِ الدِّينيةِ، أَوِ الحَفلاتِ الأُنْسِيَّةِ الوداديةِ حَفْلَتَانِ شَرِيفَتَانِ[٣] اجْتَمَعْنَا فِيهِمَا بِالفُضَلاءِ المُبَشِّرِينَ

---

(١) ١٩١١م.

(٢) أي في «بغداد»، وقد أطلق عليها «أبو جعفر المنصور» اسم «مدينة السلام»، وصارت تعرف بها، وفي سبب تسميتها بذلك أقوال مُتَعَدِّدَة. للتفصيل ينظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، د.ط) ١/ ٤٥٦، وهذا يدلّ على عمق حركته الإصلاحيّة الاجتماعيّة، فالسيّد وقتها كان يسكن مدينة «النجف الأشرف» ويصدر فيها مجلّته «العلم»، ولكنّه كان يعلم بأهمية اللقاء مع المثقفين في العاصمة؛ إذ تحوي على الاتجاهات العلميّة المتنوّعة التي لها أثر على المجتمع وإصلاحه من الناحية الفكريّة والثقافيّة عمومًا.

(٣) لم يذكر السيّد ما يتعلّق بهاتين الحفلتين في المخطوطة، أو في مذكراته، أو في غيرهما من حيث المكان، أو المناسبة، أو الجهة المنظمة لها.

الفَلاسِفَةِ الدَّكاتِرَةِ دُعَاةِ البروتِسْتَانْتِيَّةِ[١] النَّصْرانِيَّةِ، المَشْهُورينَ بِطِيبِ الأَخْلاقِ[٢]، وَالتَّقَدُّمِ في الطِّبِّ العَمَلِيِّ وَالرُّوحِيِّ المَلَكُوتِيِّ، وَهُمْ: حَضْرَةُ القِسِّ «بسي وينسنت بويس»[٣]، والدكتور الكبير «جونس»[٤]،

---

(١) البروتستانتية: فرقة عظيمة من النصارى لا يخضعون لشيءٍ عدا ما في الكتاب المقدّس، ولا يؤمنون بسلطة(الپاپ)، ولا بأكثر التعاليم الشائعة في النصارى بعد الحواريين، وما خلاهم من النصارى ينقسمون إلى(كاثوليكيّة) ورئيسهم الروحانيّ(أي الدينيّ) هو(البابا الأعظم) الساكن في رم(روما-ظ) من إيطاليا، وإلى(آرثوذكسيّة) ورئيسهم الروحاني جلالة قيصر الروس، ومن المشتهر بين الناس أنّه لو كان في النصرانية شيء فهو في منديل البروتستانتية؛ لأنّ زعيمهم الأول ورئيسهم(لوثر) [ت٩٥٣هـ / ١٥٤٦م] قام بإصلاح طريقتهم، ومسح أكثر الأوهام، والخرافات عنها، فأصبحت بالقياس إلى بقية طرائقهم طريقة بسيطة مهذبة. [المؤلف]

وللتفصيل ينظر: شلبي، أحمد: موسوعة مقارنة الأديان(المَسِيحيَّة)، (مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ط٤، ١٩٧٣م) ٢/ ٢٠٤-٢٠٧، بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، (مط سليمان زادة، قم، ط١، ١٤٢٧هـ) ٢/ ٣٦٣-٣٦٧، الزيّات، عبد الفتاح حسين: ماذا تعرف عن المَسِيحيَّة، (مركز الراية للنشر والإعلام، ط٣، ٢٠٠١م، د.م، د.مط): ١٤٧-١٥٠، عادل درويش: الكنيسة أسرارها وطقوسها، (دار ابن حزم، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م): ١٦٢-١٧٥، العاتي، إبراهيم: محاضرات في الأديان والمذاهب، (الناشر: الجامعة العالميّة للعلوم الإسلاميّة، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، د.مط، د.م): ١٨١-١٨٣.

(٢) وقد استحسنت كثيرًا من عوائدهم من قبيل اجتنابهم الشديد من شرب الدخان، وشرب المسكرات، والمخدّرات بتاتًا، ومواظبتهم للنظافة، وخفة الألبسة، وانتخابهم من أصناف الخفاف والأحذية(النعلين) العربية لصيفهم، بصورته التي ندب دين الإسلام إليه في الصلاة، (والغيوة) الفارسية لشتائهم، وذلك أوفق الصور بالصحة والراحة والاقتصاد.[المؤلف]

(٣) هو من أهالي لندن وعمره(٣١) سنة. [المؤلف]

(٤) هو من أهالي «برتين» الواقعة على البحر دون الباب الجنوبيّ لمدينة «لندرا» بمسافة ٥٠ ميلًا وعمره(٤٤) سنة. [المؤلف]

وفضيلة «داود فتو أفندي البغداديّ»[١]، والدكتور «جورج ويلديل ستانلي»[٢] وَكَانَ مَعَنَا فِي المَحْضَرِ بَعْضُ البَغْدَادِيينَ، وَجَمْعٌ مِنْ أَجِلّاءِ النَّجَفِ الأَشْرَفِ مِنَ العَائِلَةِ الجَلِيلَةِ الجَوَاهِرِيَّةِ[٣] وَغَيْرُهُمْ.

جَرَتْ فِي ذَيْنِكَ المَحْفَلَيْنِ الجَلِيلَيْنِ مُحَاوَرَةٌ أَدَبِيَّةٌ، وَمُلاطَفَاتٌ وِدَادِيَّةٌ، انْتَهَتْ إِلى مُحَادَثَةٍ دِينِيَّةٍ فَلْسَفِيَّةٍ، نَتْلُو خُلاصَتَهَا لِمَنْ أَلْقَى سَمْعَهُ[٤]؛ طَلَبًا لِتَعْمِيمِ الفَائِدَةِ، وَتَمْحِيصِ الحَقِيقَةِ.

(تَقَدُّسُ الإنْجِيلِ)

قلتُ للفاضِلِ «داود أفندي»: ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ؟[٥]

---

(١) لم يترجم له السيّد «الشهرستاني»، ولم نحصل له على ترجمة، ولكنّه من النصارى في العراق، وتربطه علاقة طيّبة بالسيّد كما يظهر من كلامه معه خلال الصفحات اللاحقة.

(٢) هو أيضًا من أهالي «لندرا»، وعمره(٢٥) سنة. [المؤلف]

(٣) الجواهريّة من الأُسر العلميّة المشهورة في «النجف الأشرف»، وقد جاءت هذه التسمية إليهم نسبة إلى الموسوعة الفقهية الكبيرة(جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) لمؤلّفها العلّامة الكبير الشيخ محمد حسن بن محمّد باقر النجفيّ(ت١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩)، وقد نبغ فيها علماء مشاهير، وأدباء، وشعراء وغيرهم. للتفصيل ينظر: آل محبوبه، جعفر باقر: ماضي النجف وحاضرها، تص: محمّد سعيد آل محبوبه، تق: محمّد رضا الشبيبيّ، (دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م) ٢/ ٩٩-١٣٧.

(٤) أي لمن كانت له عناية واهتمام بهذا الأمر، وما فيه من أهمية، وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾. سورة(ق): الآية٣٧.

(٥) وفي هذا السؤال من اللطافة ما لا يخفى، وفيه مجاراة لقوله تعالى مخاطبًا نبيّه «موسى» عليه السلام في حمله للعصا بيمينه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾. سورة طه: الآية ١٧.

قالَ: الكِتَابُ المُقَدَّسُ.[١]

فقلتُ: ما المَقْصُودُ مِنْ تَقَدُّسِهِ؟

قالَ: إِنَّهُ مُنَزَّهٌ مِنْ كُلِّ كَذِبٍ وَخَطأٍ وَشُبْهَةٍ.[٢]

فقلتُ: مَنْ جَمَعَهُ وَأَلَّفَهُ؟

قالَ: الحَوَارِيُّونَ(لُوقَا) و(يُوحَنَّا) و(مَتَّى) و(مُرْقُصُ).[٣]

---

(١) وهو اسمُ عَلَمٍ للإنجيل» عند النصارى، كما أنَّ «التوراة» عند اليهود، و«القرآن» عند المسلمين.

(٢) وهذا هو اعتقاد النصارى في الإنجيل، ولكن هذا لم يثبت؛ لاختلاف الأناجيل عندهم، فكُلُّ إنجيل كما سيأتي له أنصاره يدافعون عنه دون غيره، فضلًا عن أنَّها كُتبت بعد المسيح عليه السلام بمدّة طويلة.

(٣) يُطلق الإنجيل ويشمل كتبًا أربعة هي:

أ- إنجيل «متّى» الذي كتب في جبيل، أو أنطاكية للمسيحيين، وهو أوّل الأناجيل، وقيل: كتبه لليهود خصوصًا بالدرجة الأولى، وأنَّه المخلِّص الموعود، وقد كتب ما بين سنة(٥٠م-٧٠م)، و«متّى» يُدعى أيضًا«لاوي»، وكان عَشَّارًا يجمع الضرائب.

ب- إنجيل «مرقس» وقد كتب في «روما» خلال الفترة التي شهدت اضطهاد الامبراطور «نيرون»، وقد كتب للمسيحيين من أصول وثنيّة، ويعتبر أقصر الأناجيل ففيه ستّة عشر إصحاحًا، ويرجّح كتابته ما بين سنة(٦٥م-٧٠م)، و«مرقس» عاش في أورشليم، وكان المسيحيون الأوّلون يجتمعون في بيت أمّه «مريم».

ت- إنجيل «لوقا» وقد وضع تاريخه بعد حصار «أورشليم» وتدمير هيكل«سليمان» وهو موجّه بالتحديد إلى إحدى الشخصيّات النبيلة اليونانيّة التي تدعى «ثاوفيليوس»، و«لوقا» طبيب كتب الإنجيل وسفر أعمال الرسل، وإنجيله يتحدّث بالتفصيل عن سيرة المسيح عليه السلام، ويصفه بأنه مخلِّصُ العالم كلّه، وليس بني إسرائيل وحدهم.

ث- إنجيل «يوحنّا» ويتميّز ببنية خاصّة فيغلب عليه الطابع اللاهوتيّ من ناحية الخطب

فقلتُ: هَلْ كَانَ هَؤلاءِ مُقَدَّسِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ؟

قالَ: كَلّا، لَيْسَ فِي العَالَمِينَ مُقَدَّسٌ غَيْرَ سَيِّدِنَا المَسِيحِ عليه السلام.(١)

فقلت: إذا كَانُوا غَيْرَ مُقَدَّسِينَ عَنِ الخَطَأِ وَالكَذِبِ، كَيْفَ يَصِيرُ مَا أَلَّفُوهُ مُقَدَّسًا عَنْهُمْ(٢)؟ أَمْ كَيْفَ يَطْمَئِنُّ أَحَدٌ بِتَقَدُّسِ مَجْمُوعَةٍ وَهُو يَحْتَمِلُ الخَطَأَ وَالكَذِبَ فِي جَامِعِهِ؟.

قالَ: إِنَّ رُوحَ القُدُسِ مَوْجُودٌ فِي هَؤلاءِ فَيَعْصِمُهُمْ وَيُقَدِّسُهُمْ.(٣)

والصلوات، ولا يهتمّ بسرد الأحداث بقدر ما يهتمّ باستخلاص معانيه، ويرجّح كتابته سنة(٩٠م)، و كان «يوحنّا» صيّاد سمك كأبيه، وقد ورد في إنجيله أنَّ المسيح هو كلمة الله الكائن أزلًا قبل الزمن، وإنْ كان وُلِدَ إنسانًا في الزمن.

ولكُلِّ إنجيل من هذه الأناجيل تفاصيل حول تعاليمه التي تضمنته. للتفصيل ينظر: شلبي: موسوعة الكتاب المقدّس، (دار منهل الحياة، لبنان، ١٩٩٣م، د.ط): ٢٧٩، ٢٨١، ٢٩١، ٣٥٣، موسوعة مقارنة الأديان(المَسِيحيَّة) ٢/ ١٨١-١٨٤.

(١) وهذه الرؤية تنطلق من عدم إيمانهم بالأنبياء الآخرين، الذين يجب أنْ يكونوا معصومين، فضلًا عن رؤيتهم الخاصة في مفهوم القداسة والتقديس، وهذا ما ستراه في الصفحات اللاحقة من المحاورة.

(٢) في الأصل: (عنهما).

وهذا إشكال عقليّ بديهيّ، فكُلُّ إنسانٍ غير معصوم يحتمل صدور المعصية والخطأ والسهو عنه، وهذا ما يمكن أنْ ينطبق على أصحاب الأناجيل الأربعة، بل على كُلِّ راوٍ من غير المعصومين، سوى الأنبياء والأوصياء عليهم السلام الذين يجب أنْ يكونوا معصومين ليتحقّق الغرض من بعثتهم كما ثبت ذلك في المباحث العقائديّة.

(٣) ويقصد بذلك أنَّ روح القدس يلهمهم كتابة هذه الأناجيل، فهم قد كتبوها بإلهام منه، ولكن كيف يتمّ إثبات أنَّه قد ألهمهم ذلك، فإنْ كانوا هم القائلين بذلك، فإنَّ هذا لا يمكن اعتماده؛ لأنَّهم غير مقدّسين ويحتمل فيهم الكذب، وإنْ كان غيرهم قد قال ذلك، فمَنْ هؤلاء؟

قلتُ: مِنْ أَيْنَ نَعْلَمُ بِوجُودِهِ فِيهِمْ؟ وَكَيْفَ عَرِفَ النَّاسُ ذَلِكَ؟ وَبِأَيِّ سَبَبٍ اخْتُصُّوا بِحُلُولِ تِلْكَ الروحِ فِيهِمْ دُونَ البَرِيَّةِ؟(١)

قالَ: إِنَّ رُوحَ القُدُسِ يَمْلَأُ كُلَّ إِنْسَانٍ عُمُومًا، وَلا خَصَاصَةَ لَهُ بِهَؤلاءِ فَقَطْ.

قلتُ: حَتَّى فِي الوَثَنِيِّينَ وَالمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ؟

قالَ: نَعَمْ، وَهُوَ الذِي يَهْدِيهِمْ إِلَى الخَيْرِ، وَيُحَرِّزُهُمْ مِنَ الشَّرِّ.(٢)

فقلت: تَخْتَلِجُ فِي ضَمِيرِي هَا هُنَا مُشْكِلاتٌ:

إِنَّكَ قَدْ قُلْتَ: لَيْسَ فِي العَالَمِ مُقَدَّسٌ غَيْرَ المَسِيحِ عليه السلام، وَالآنَ تَقُولُ: جَمِيعَ مَنْ فِي الأَرْضِ مُقَدَّسٌ، وَهَذا تَنَاقُضٌ فِي القَوْلِ.(٣)

إِنَّ رُوحَ القُدُسِ -الذي بَيَّنْتُمْ عَلَى أَنَّهُ يُقَدِّسُ مَنْ حَلَّ فِيهِ- لَوْ أَصْبَحَ مَوْجُودًا فِي كُلِّ إِنْسَانٍ عُمُومًا كَمَا أَفَدْتَ لَزِمَ أَنْ تُصَحِّحَ كُلَّ مُتَنَاقِضَيْنِ، وَتُصَدِّقَ كُلَّ أَمْرَيْنِ

(١) وهذا سؤال عقليٌّ يفرضه العقل ابتداءً، وخصوصًا مع عدم وجود ما يؤيّده من معجزات تدلّ عليّه، وكذلك يؤيّده النقل من عدم وجود نصٍّ مُتَّفَقٍ على صحته يؤكِّد تزكية هؤلاء الكتبة لأناجيلهم.

(٢) وهذا واضح بطلانه، فلم يقل به أحد من المسلمين أو الوثنيين، فضلاً عن أنَّ غير المؤمنين بالمَسِيحيَّة كافرون بها، كيف يتمّ هدايتهم وهم على باطل وكفر في نظر النصارى، فهذا إمّا جواب للفرار مما تقدم من السؤال والإشكال، وإما جهل بالعقيدة.

(٣) إنَّ هذا التناقض واضح وباطل، فأمّا وضوحه فمن خلال التأمّل في كلامهم، وأمّا بطلانه فلانتفاء علّة بعث الأنبياء بعد عيسى عليه السلام لوجود تلك الروح التي تهديهم إلى الخير، بل إنَّ هذا ينطبق على النصارى أنفسهم من اختلاف الأناجيل والفِرَق، فلو كان الأمر كذلك لما ادَّعى كُلُّ واحدٍ من أصحاب تلك الأناجيل بصحة ما أتى به، فضلًا عن الواقع الذي يثبت عدم وجود تلك الروح عند الجميع حَتَّى الوثنيّة، وما هو حال تلك الأُمم التي سبقت ولادة عيسى عليه السلام!

مُتَنَافِيَيْنِ؛ لأَنَّ القَائِلَ بِكُلٍّ مِنْهُا بَشَرٌ حَلَّ رُوحُ القُدُسِ فِيهِ، فَلَوِ اعْتَقَدْ [تُ] التَّوْحِيدَ فِي اللهِ سُبْحَانَهُ.(١) وَبَرْهَنْتُ عَلَيْهِ، وَاعْتَقَدَ غَيْرِي بِالشِّرْكِ فِيهِ تَعَالى وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ، وَجَبَ أَنْ تُصَحِّحَ كِلا الاعْتِقَادَيْنِ وَتُصَدِّقَنَا جَمِيعًا؛ لأَنَّ فِينَا مَعًا رُوحَ القُدُسِ -المُسْتَوْجِبُ لِتَقَدُّسِ مُظْهِرِهِ-(٢)، وَبَدِيهَةُ العَقْلِ كَإِجْمَاعِ العُقَلاءِ قَاضِيَةٌ بِبُطْلانِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ..(٣)

لو صَحَّ وجودُ روحِ القُدُسِ في كُلِّ إنسانٍ عمومًا لزمَ مِنْ صَحَّةِ هذهِ القضيةِ فسادُ نفسِها، وكُلُّ ما يلزمُ من وجودِهِ عدمُهُ، أو مِنْ صَحَّتِهِ فسادُهُ، أو مِنْ إثباتِهِ نَفْيُهُ، فهو باطِلٌ مستحيلٌ.

أَلا تَرَى أَنَّكَ لَوْ أَيْقَنْتَ بِوُجُودِ روحِ القُدُسِ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ، وَأَنَّهُ يَعْصِمُ مَنْ وُجِدَ فِيهِ عَنِ الخَطَأ، لَزِمَكَ أَنْ تَعْتَقِدَ بِأَنَّنِي -المُخَاطِبُ لَكَ- أَيْضًا مَعْصُومٌ بِحُلُولِ روحِ القُدُسِ فِي بَاطِنِي، وَالحَالَةُ أَنَّنِي مَثَلا(٤) أَعْتَقِدُ بِعَدَمِ وُجُودِ روحِ القُدُسِ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ، أَوْ أَنَّهُ لا يَعْصِمُ مَنْ حَلَّ فِيهِ، فَيَلْزَمُكَ أَنْ تَعْتَقِدَ بِصَحَّةِ جَمِيعِ مَا أَرَاهُ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا أَرَاهُ فَسَادَ تِلْكَ القَضِيَّةِ التِي صَحَّحْتَهَا أَنْتَ(٥)، فَقَتَلَتْ القَضِيَّةُ نَفْسَهَا.

[فرأيتُ] مَسَرَّةً فِي الجَمِيعِ كَأَنَّهُمُ اسْتَظْرَفُوا هَذا الكَلامَ. ثم قلت:

---

(١) في الأصل: (س) وتمّ تحويلها إلى(سبحانه) أينما وردت.

(٢) أي إنَّ روح القدس أينما حَلَّ وجب أنْ يكون كُلُّ مَنْ ظهر فيه مقدّسًا، فيظهر تقدّسه في الموجود، فإذا ظهر في جميع الموجودات، وجب أنْ تكون جميعها مقدّسة.

(٣) استدلال لطيف جدًّا منه قدس سره، فالعقل يحكم بما قاله السيّد، فدعواهم لا يمكن قبوله، وإلّا لكانت جميع أفكار البشر وأفعالهم صحيحة، والواقع يخالف ذلك تمامًا.

(٤) إنَّ قوله: (مثلاً) للمجاراة في الكلام والحوار معه على وفق آداب الحوار، وإلاّ فهو على يقين بعدم وجوده.

(٥) وهي قوله: (إنَّ روحَ القُدُسِ يَمْلأُ كُلَّ إنسانٍ عمومًا، ولا خصاصَةَ لَهُ بهؤلاءِ فقط).

إِنَّكُمْ مَعَنَا تَعْتَبِرُونَ -وَلا شَكَّ- الصِّدْقَ والكَذِبَ فِي المُحَاوَراتِ[١]، وَتَقُولُونَ: هَـذا(كَاذِبٌ أَوْ مُبْطِـلٌ)، وَ(هَذا صَـادِقٌ أَوْ مُحِقٌّ)، وَتَتَحَـرَّوْنَ العلائِمَ وَالأَمَاراتِ فِيهِما[٢]، فَلَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُقَدَّسِينَ بِرُوحِ القُدُسِ لَمْ يَبْقَ مَوقِعٌ للتَّحَرِّي، ولَغَتْ أَكْثَرُ الأُمُورِ، أَوْ خَالَفْتُمْ فِطْرَةَ النَّاسِ وَجِبِلَّتَكُمْ[٣]، ولَكَانَ الإِسْـلامُ حَقًّا، وَالقُرْآنُ صِدْقًا[٤].

- قالَ: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ فَلْسَفِيَّةٌ طَوِيلَةٌ.[٥]

---

(١) أي إنّكـم تؤمنون أيضًا بوجـود الصدق والكذب في المحاورات العامّة التي اتفق عليها العقلاء في مخاطباتهم، وتجعلون له اعتبارًا يمكن الاعتماد عليه.

(٢) أي الاعتمـاد علـى الأمارة وهي القرينة التي تسـاعد في فهم الكـلام صدقًا أو كذبًا، أو حقيقـة أو مجازًا، وغير ذلـك، وهي مهمّة في الكـلام، والحوار، والجـدال، يلجأ إليها المتكلّم عندما لا يريد أنْ يوصل كلامه المباشر للمتلقي، أو عند استخدامه للمجاز دون الحقيقة.

(٣) وهـذا لطيف جدًّا منه، فإنَّ أيّ دعوة يجب ألا تتعارض مع الفطرة الإنسـانيّة المشـتركة بين جميع الناس، والتي منها المخاطبات العامّة وفهمها بينهم، لذلك فإنَّ جميع دعوات الأنبياء عليهم السلام كانـت تلائم الفطرة البشـريّة، وتدعوها لرفع الحجب عنهـا، لترى حقيقة الدعوة.

(٤) وذلك لوجود روح القدس الذي يعصم النبيّ صلّى الله عليّه وآله وسلم، وبذلك يكون كُلُّ ما دعا إليه حقًّا، وأنَّ الإسـلام دين من الله تعالى يسـتوجب الإيمان به، وبذلك تُقام الحجّـة البالغة على الجميـع ومنهم النصـارى القائلين بوجـود روح القدس في جميع البشر.

(٥) إنَّهُ فرارٌ لطيفٌ من المحاورة والنقاش بعد إقامة الحجّة والدليل عليّه من قبل السيّد قدس سره فـي النقاط الأربعة التي تقدّمت، والتي كانت على أسـاس اعتقادهم، فالمسـألة ليسـت فلسفيّة بالمعنى التخصّصيّ الدقيق، بل عقليّة فطرية ظاهرة بأدنى تأمّل.

(بشرى ائتلاف) (في معنى قولهم: المسيح ابن الله)

تَذَاكَرْنَا في نَسَبِ السيّد المسيحِ عليه السلام المَذْكُورِ في الإِنْجيلِ، وفي آخِرِهِ: فُلانٌ ابْنُ آدَمَ بْنُ الله.(١)

– فقلتُ: كَلِمَةُ(ابنُ الله) هـا هُنَا صِفَةٌ لآدَمَ عليه السلام، أَوْ لِعيسى عليه السلام مَعَ كَثْرَةِ الفَواصِلِ؟

– فقالَ «داود أفندي»: إِنَّمَا هُوَ صِفَةُ «آدَمَ» عليه السلام.

– قلتُ: كَيْفَ يَكونُ «آدَمُ» ابْنَ الله؟

– قالَ: إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ جِسْمَانِيٌّ، وَإِنَّمَا خُلِقَ بِقُدْرَةِ الله وَمَشِيئَتِهِ.

– فقلتُ: لِمَ لا تَقُولونَ في «عيسى» أَنَّهُ: ابْنُ الله بِهَذا(٢) المَعْنَى؟

– قالَ: بَلَى، نَقُولُ فيهِ أَيْضًا بِهَذا المَعْنَى لا غَيْرَهُ.

– قلتُ: إِذَنْ تَوَافَقْتُمْ مَعَ المُسْلِمينَ في المَعْنَى، وَاخْتَلَفْتُمْ في اللفْظِ، إِذِ المُسْلِمُونَ أَيْضًا يَعْتَقِدُونَ في «آدمَ» و«المسيحِ» أَنَّهُمَا مَخْلُوقَانِ مِنْ أَمْرِ الله وَبِقُدْرَتِهِ بِلا انْتِسَابٍ مِنْهُمَا إِلى أَبٍ جِسْمَانِيٍّ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِمَا في القُرْآنِ العَظيمِ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.(٣)

---

(١) إنجيل لوقا، الإصحاح الثالث، لوقا ٣٨.

(٢) في الأصل: بهذ.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

وفي الآية المباركة كمال التشبيه بين «عيسى» و«آدم» عليهما السلام من حيث الخَلْق بغير الطريقة المعتادة وخصوصًا في «آدم»، ومن دقيق ما ورد في بيان هذا التشبيه قول «الزمخشري» في تفسيره: «فإنْ قلتَ: كيف شَبَّهَ به وقد وُجِدَ هو [أي عيسى] من غيرِ أَبٍ، وَوُجِدَ «آدم»

نَعَـمْ اخْتَلَفْتُمَا مِنْ جِهَةِ أَنَّكُمْ تُسَـمُّونَهُ: (ابْنَ الله) بِهَذِهِ المُلاحَظَةِ، وَالمُسْـلِمُونَ يَتَنَزَّهُـونَ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ تَقْدِيسًـا لله تَعَالى عَنْ شَـوائِبِ الجِسْـمِيَّةِ[١]، وَيُسَـمُّونَ عيسـى(رُوحَ الله وَكَلِمَتَهُ)[٢]. فَاتَّفَقْتُمْ مَعَهُـمْ فِي الجَوْهَرِ، وَاخْتَلَفْتُمْ فِي أَمْرٍ عَرَضِيٍّ لا أَهَمِّيَّةَ فيهِ.[٣]

مـن غير أَبٍ وأُمٍّ؟ قلـت: هو مثيله في إحدى الطرفين، فلا يمنعُ اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشـبيهه به؛ لأنَّ المماثلةَ مشـاركَةٌ فـي بعض الأوصاف، ولأَنَّهُ شَـبَّهَ به في أَنَّهُ وُجِدَ وجودًا خارجًا عن العادةِ المسـتمرةِ، وهما في ذلك نظيرانِ، ولأنَّ الوجودَ من غيرِ أَبٍ وأُمٍّ أغـربُ وأخـرقُ للعادةِ مـن الوجودِ بغيرِ أَبٍ، فشـبَّهَ الغريبَ بالأغـربِ؛ ليكونَ أقطعُ للخصمِ، وأحسـمُ لمادةِ شـبهتِهِ، إذا نظرَ فيما هو أغربُ مما استغربَهُ». محمود بن عمر: الكشـاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل(تفسير الكشاف)، تـح: عبد الرزاق المهديّ، (دار إحياء التراث العربـيّ، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م) ١/ ٣٩٤.

(١) إنَّ توحيده تعالى يقتضي تنزيهه عن صفات السـلب، ومنها المكان والزمان والجسـميّة ومـا يترتب على ذلك مـن صفات أخرى وقد ناقش المتكلّمون نفـي ما تقدّم وغيره عن الله تعالى في مباحث خاصة. للتفصيل ينظر: العلّامة الحلّيّ، الحسن بن يوسف: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تح: الشيخ حسن زاده آملي، (مؤسسة النشـر الإسلاميّ، قم، ط٧، ١٤١٧هـ): ٤٠٧-٤١٤، وغيره من المصادر.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَـى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُـولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾. سـورة النساء: الآية١٧١

(٣) إنَّ الاتفـاق فـي الجوهـر يعني كونهمـا «آدم وعيسـى» عليهما السلام مخلوقين فـي الخارج، والاختـلاف في العرض أي في تسـمية الصفات التي تُطلـق عليهما مما يخالف العقيدة الإلهيـة مطلقًا، إنْ كان السـيد أراد من الجوهر والعرضي المعنـى العرفي، وإنْ كان أراد المعنى الفلسـفي منهما فقد تكلم الفلاسـفة بالتفصيل في تعريفهما ومصاديقهما. ينظر: صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، د.ط): ٢/ ٦٩

(أساس الطب التجربة)

- قالَ د. «جونس»: هَلْ عِنْدَكُمْ في «النَّجَفِ» أَطِبَّاءُ؟[١]

- قلتُ: نَعَمْ كَثِيرُونَ.

- قالَ: يَحْكُمُونَ بِالطِّبِّ الجَدِيدِ أَوِ القَدِيمِ؟

- قلتُ: فيهِمْ مَنِ اشْتَغَلَ في الطِّبِّ الجَدِيدِ، وَهُوَ مُوَظَّفٌ مِنَ الحُكُومَةِ المَحَلِّيَّةِ، ولكِنْ مَسْلَكُ الأَكْثَرِ مِنْهُمُ الطِّبُّ القَدِيمُ.[٢]

- قالَ: مَسْلَكُهُمْ مَسْلَكُ العَجَائِزِ وَالبَدْوِ، يُعَالِجُونَ المَرْضَى بِالكَيِّ وَنَحْوِهِ.[٣]

- فقلتُ: أَسَاسُ الطِّبِّ وَمَبْنَاهُ هُوَ التَّجْرِبَةُ، فَإِذا جَرّب النَّاسُ عَمَلًا عِلاجِيًّا وَعَهِدُوا مِنْهُ الفَائِدَةَ العُمُومِيَّةَ دائِمًا، فَلا لَوْمَ عَلَيْهِمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِ عِنْدَ مَسِيسِ الحَاجَةِ.

---

(١) إنَّ سؤالهم عن الطبّ في «النجف» إمّا يدلُّ على اعتنائهم بمعرفة أحوال هذه المدينة المشهورة في «العراق» والعالم، وخصوصًا أنّهم في «العراق» يسمعون عن «النجف الأشرف» بأنّها مدينة علميّة، يدرس فيها طلبة العلوم الدينيّة؛ فضلًا عن تخرُّج أغلب رجال الدين منها، وإمّا هو فرار من النقاش العلميّ الذي أبدع فيه السيّد «الشهرستانيّ» في إقامة الحجّة على عدم قدسيّة ما يدَّعونه.

(٢) ويقصد به الطب القائم في علاجه على التداوي بالأعشاب وغيره من الوسائل القديمة في المعالجة.

(٣) إنَّ هذا جواب غير لطيف، وإلاّ كيف كان الناس يعالجون مرضاهم قبل أنْ يتمّ وضع الدراسات الطبيّة الحديثة، والتي تطوّرت شيئًا فشيئًا، نعم إنّه أصبح قديمًا بالنسبة للعلم الحديث، فيجب أنْ نحترم التراث بما يليق، من دون الاستهزاء به، ولا يعني أنَّ احترامه هو تقديس له، بل هو طب نافع لوقته آنذاك.

– قالَ: لَيْسَتِ التَّجْرِبةُ مَبْنَى الطِّبِّ وَأَسَاسَهُ، بَلِ العلمُ هُوَ أَسَاسُ الطِّبِّ.(١)

– فقلتُ: التَّجَارب(٢) تَهْدِي النَّاسَ إِلى مَعْرِفَةِ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ، وَالعلمُ يُظْهِرُ لَهُمْ عِلَّةَ المَضَرَّةِ وَالمَنْفَعَةِ، فَالتَّجْرِبةُ تَقْضِي مَثَلًا بِضَرَرِ المَحْمُومِ إِذا اغْتَسَلَ بِمَاءٍ بَارِدٍ، وَالمُفَكِّرَةُ(٣) تَشْتَغِلُ بِتَعْلِيلِ ذَلِكَ، فَيُظْهِرُ العلمُ سِرَّهُ، وَأَنَّ بُرُودَةَ المَاءِ تَسُدُّ مَسَامَ البَدَنِ، وَمَنَافِذَ الأَبْخِرَةِ، فَتَحْتَبِسُ فِي البَاطِنِ، فَيَتَضَرَّرُ المَحْمُومُ مِنْهُ(٤).

فَالتَّجْرِبةُ أَسَاسُ الحِكْمَةِ وَالتَّعْلِيلِ، [و] التَّجْرِبةُ طِبٌّ سَطْحِيٌّ، وَالعلمُ يَكْسُوهُ فَلْسَفَةً، [و] التَّجْرِبةُ مِنْ مَبَادِئِ حُصُولِ العلمِ، [و] التَّجْرِبةُ تَجْمَعُ الأَشْبَاهَ وَالنَّظَائِرَ فَتُمَهِّدُ السَّبِيلَ لِوُصُولِ العلمِ إِلى الحُكْمِ الكُلِّيِّ، وَالنَّامُوسِ العَامِّ.(٥)

---

(١) إنَّ هذا الكلام صحيح ابتداء، ولكن لا يمكن للعلم أنْ يستغني عن التجربة، والتي قد تكون لسنوات طوال، ولأعداد كبيرة، وهذا واضح لديهم، فكثير من العقاقير لا يتمّ إقراره من المنظمات الصحيّة الدوليّة وغيرها إلّا بعد القيام بتجارب كثيرة، وعلى أمثلة مختلفة، حَتَّى يتمّ إقراره والعمل به، وتقدّم الطب يشهد بأنَّ التجربة عامل مهم فيه.

(٢) في الأصل: (التجاريب). جمع التجربة(تجارب)، وليس تجاريب. ينظر: المعجم الوسيط(تجربة).

(٣) أي الذين يفكرون في إيجاد العلاج، كعلماء الطب.

(٤) ويمكن الاطلاع على كتب الطبّ التي وضعها العلماء المسلمون في هذا الباب من حيث بيان الداء وأسبابه وطرق علاجه، والتي أفاد الغرب والعلم الحديث منها كثيرًا. فينظر مثلًا: * الحاوي في الطبّ للرازيّ(ت٣١٢هـ/ ٩٢٥م). * القانون في الطبّ لابن سينا(ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م). * الكليّات في الطبّ لابن رشد(ت٥٩٥هـ/ ١١٢٦م). * الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار(ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م). * المهذّب في الكحالة لابن النفيس(ت٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) وغيرهم.

(٥) وهذا كلام دقيق منه قدس سره يبيِّن فيه فلسفة العلوم، فالحقيقة أنَّ التجربة هي أساس صحّة علم الطب وعدمه، فالعلماء عندما يكتشفون علاجًا معيَّنًا فلا يمكنهم اعتماد العلاج ما لم تتمّ تجربته، فتأتي التجربة لبيان صحّة العلم، والعلم أيضًا قائم على تجارب سابقة لموضوعات مُتَعَدِّدَة.

(هل المسيح "عليه السلام" واسطة لخلق العالم ؟)

- قالَ د. جونس في ضمن محادثته: (إِنَّ الرَّبَّ المَسيحُ ..كذا..)[1].

- فقلتُ: كَيْفَ يكونُ المَسِيحُ عليه السلام ربًّا؟

- قالَ: لأَنَّهُ خَلَقَ الأَشْياءَ كُلَّهَا.

- قلتُ: فَهَلْ كانَ في نَفْسِهِ مَخْلُوقًا مَعَ ذلِكَ؟ أَوْ لا.

- قالَ: نَعَمْ، كَانَ مَخْلُوقًا مِنَ الأَبِ تَعَالَى.

- قلتُ: كَانَ إِذَنْ واسِطَةً فِي خَلْقِ الأَشْياءِ بَيْنَنا وَبَيْنَ المَوْلَى سُبْحَانَهُ.

- قالَ: نَعَمْ.

- فقلتُ: لِمَ لَمْ يَخْلُقِ اللهُ الأَشْيَاءَ بِنَفْسِهِ حَتَّى احْتَاجَ إِلى تَوَسُّطِهِ؟

- قالَ: لأَنَّ اللهَ مُقَدَّسٌ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَالخَلْقُ كُلُّهُمْ غَارِقُونَ فِي بَحْرِ الخَطَأِ[2] وَالذُّنُوبِ، فَكَيْفَ يَتَلَطَّفُ عَلَيْهِمُ اللهُ وَيَجُودُ عَلَيْهِمْ بِالوُجُودِ مِنْ دُونِ واسِطَةٍ؟

- قلتُ: تَصَوَّرْتُ مِنْ هَذا الكَلامِ إِشْكَالاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ:

١- كَيْفَ غَرِقُوا فِي بَحْرِ الخَطَايَا قَبْلَ أَنْ يُوجَدُوا.

٢- إِنَّ المَسيحَ لَيْسَ بِأَسْخَى مِنَ اللهِ، وَلا هُوَ أَرْأَفُ مِنْهُ بِالعِبَادِ حَتَّى يَحْتَاجَ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي عَطُوفَةِ اللهِ بِهِمْ وَإِفَاضَتِهِ عَلَيْهِمْ.

٣- إِنَّ تَقَدُّسَ اللهِ لَوْ عُدَّ مَانِعًا مِنْ تَعَلُّقِ فَيْضِهِ بِالنَّاسِ حَيْثُ إِنَّهُمْ غَيْرُ مُقَدَّسِينَ(من باب عدم المناسبة بين العلّة والمعلول) فَكَيْفَ جَازَ عَلى المَسِيحِ أَنْ

(١) هكذا في الأصل.
(٢) في الأصل: الخطاء.

يَخْلُـقَ الخَلْقَ؟ إِذِ المَانِعُ مِنْ طَرَفِهِ [أي: الله](وَهُوَ التَقَدُّسُ) أَوْ مِنْ طَرَفِنَا(وهو عدمُ التَقَدُّسِ) مَوْجُودٌ عَلى كُلِّ حَالٍ بِسَـبَبِ عَدَمِ المُنَاسَبَةِ المَذْكُورَةِ، وَنَحْتَاجُ إِلى واسِطَةٍ أُخْرَى بَيْنَنا وَبَيْنَهُ فَيَعُودُ الكَلامُ وَيَتَسَلْسَلُ.(١)

– فالتفـتَ د. جونس إلى د. جورج ويلديل سـتانلي وَتَكَالَمَا بِالإِنْجِلِيزِيَّةِ مُدَّةً، ثُمَّ سَادَ الجَمِيعَ سُكُوتٌ.(٢)

(والحديـث اللطيـف) إِنِّي قُلْتُ بَعْـدَ ذَلِـكَ إِنَّ فِي مَجْمَعِنَا مَنْ يَقُولُـونَ:(٣) إِنَّ الواسِـطَةَ غَيْرُ مُنْحَصِـرَةٍ بِحَضْـرَةِ «المسيح» عليه السلام، أَيْ المُقَدَّسُـونَ فِي البَرِيَّةِ كَثِيرُونَ، وَمِنْهُمْ «محمّد» صلى الله عليه وآله وسلم نَبِيُّ الإِسْلامِ، وَيُثْبِتُونَ هَؤلاءِ تَقَدُّسَهُ بِمِثْلِ مَا تُثْبِتُونَ بِهِ التَّقَدُّسَ

(١) إن هذه الإشـكالات واضحة البيان لا تحتاج إلى تعليق، فهي بنفسها قائمة على ردّ هذه الشـبهات التي يتصوَّرونها عن الله تعالى، أو يحاولون تصويرها للآخرين من أجل دعم ما يعتقدونه في المسـيح عليه السلام من معتقدات مخالفة للعقيدة الإلهيّة، والتسلسـل كما ورد في بيانه هو ترتّب شـيء موجود على شـيء آخر موجود معه بالفعل، وترتّب الثاني على ثالـث كذلك، والثالـث على رابع، وهكذا إلى غير نهاية، والتسلسـل فـي العلّل محال. الطباطبائـيّ، محمّـد حسـين: نهايـة الحكمة، تـص وتع: الشـيخ عبّاس علـيّ الزارعيّ السبزواريّ، (مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم، ط١٤، ١٤١٧هـ): ٢١٧، وينظر: الحسينيّ: مصطلحات المنطق: ٧٢.

(٢) أظنُّ أنَّهما تباحثا في أمرين هما: الأوّل ما يتعلّق حقيقة ببطلان الواسـطة لو كان سـببها هو ما تقدَّم إذ العقل يحكم بذلك، والآخر ما يتعلّق بالسيّد «الشهرستانيّ» واطلاعه على الفلسفة الإلهيّة في التعامل مع إثبات وجود الخالق والخلق، والنسبة بينهما، وإعجابهما بذلك.

(٣) إنَّ السـيّد قدس سره لم يجعل نفسـه ممثلاً عن المسـلمين محاججًا إيّاهم، بل جعل نفسـه حَكَمًا ينظر في جميع الأقوال، وهذا من الأساليب الناجحة في المحاججة، وهو التجرّد من الانتماءات المعيّنة، وجعل الأقوال في ميزان العقل والشريعة.

لِـ«عيسى» عليه السلام[١]، فَلِمَاذا لا يُجوزُ أَنْ يَتَوَسَّطَ «محمّد» صلى الله عليه وآله وسلم بَيْنَنا وَبَيْنَ المَوْلَى سُبْحَانَهُ فِي الوُجُودِ وَفِي كُلِّ جُودٍ. ؟

– قالَ مُتَبَسِّمًا: كَيْفَ يَجُوزُ ذَلِكَ وَقَدْ خُلِقَ «محمّد» صلى الله عليه وآله وسلم بَعْدَ «المَسِيحِ». ؟

– فقلتُ: وَقَدْ جَاءَ «عيسى» بَعْدَ «آدمَ» وَجَمْهُورِ الأَنْبِيَاءِ، فَكَيْفَ جَازَ أَنْ يَتَوَسَّطَ لَهُمْ فِي الخَلْقِ.؟

– قالَ: تَوَسَّطَ «المَسِيحُ» لِلْخَلْقِ فِي عَالَمِ المَلَكُوتِ[٢]، وَجَاءَ بَعْدَهُمْ فِي عَالَمِ النَّاسُوتِ.[٣]

---

(١) إنَّ ما يثبته المسلمون في النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يخالف ما يذهب إليه المسيحيون فيما يتعلّق بالواسطة في خلق المخلوقات وغير ذلك، بل المسلمون يقولون بأنَّه: نبيٌّ مرسلٌ من الله تعالى، معصوم من الذنوب كبائرها وصغائرها، قبل البعثة وبعدها، وسبب العصمة يتعلّق بمقام النبوّة، وتحقيق الغرض من البعثة. للتفصيل ينظر: المفيد، محمّد بن محمّد ابن النعمان: تصحيح اعتقادات الإماميّة، تح: حسين دركاهي، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م): ١٢٨-١٣٠، الطوسيّ، محمّد بن الحسن: الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، (مط الخيام، قم، ١٤٠٠هـ، د.ط): ١٦١.

(٢) إنَّ عالم الملكوت يقابله عالم الناسوت، والأوّل هو الطبيعة الإلهيّة المختصة بالأرواح، والثاني هو الطبيعة البشريّة. ينظر: الشريف الجرجانيّ، عليّ بن محمّد: التعريفات، (الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ): ١٠٠، موسوعة الكتاب المقدّس: ٣٠٤.

(٣) إنَّ هذه مغالطة واضحة الضعف، وفيها إفراط في الدفاع عمَّا يعتقدونه في المسيح عليه السلام وإنْ كان مخالفًا لفلسفة الخلق والوجود، أو مخالفًا للقضايا العقليّة النظريّة والعمليّة، فضلًا عن الأدلة النقليّة، وإذا كان الأمر كما يقولون فلا توجد أي علاقة بعد ذلك في رتبة التقدّم والتأخّر في وجود المخلوقات في الحياة الدنيا كما في مفروض السيّد الشهرستانيّ وكُلِّ سائل من العقلاء، وإلّا لكان كُلُّ مَنْ كان وجوده بعد حياة المسيح عليه السلام فهو خارج عن تلك الواسطة التي يَدَّعونها.

– فقلتُ: يَقُولُونَ فِي «محمّد»صلى الله عليه وآله وسلم أَيْضًا مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ تَقَدَّمَ فِي الخَلْقِ عَلى الكُلِّ فِي عَالَمِ المَلَكُوتِ فَتَوَسَّطَ لَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فِي عَالَمِ النَّاسُوتِ بَعْدَ الرُّسُلِ جَمِيعًا.(١)

(الشرّ في المأكول أو في آكله)

– قالَ د. جونس: يَتَذَاكَرُ النَّاسُ أَنَّ الشَّيْءَ الفُلانِيَّ شَرٌّ، وَالحَالَةُ أَنَّ الشَّرَّ مِنْ نَفْسِ الإِنْسَانِ المُسْتَعْمَلِ لِذَلِكَ الشَّيْءِ، لا مِنْ نَفْسِ ذَلِكَ الشَّيْءِ(٢)، مَثَلاً مَنْ أَكَلَ شَيْئًا فَأَصَابَهُ ضَرَرٌ مِنْهُ تَرَاهُ يَشْتَكِي مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ، مَعَ أَنَّهُ لا شَرَّ فِيهِ، وَإِنَّمَا الشَّرُّ فِي نَفْسِ الآكِلِ(٣)؛ لأَنَّ الإِنْسَانَ هُوَ صَاحِبُ الخَطِيئَةِ لا غَيْرُهُ.

– فقلتُ: هَا هُنَا جِهَاتٌ لَفْظِيَّةٌ يَجِبُ أَنْ تَنْقَشِعَ غُيُومُهَا، حَتَّى لا تَخْتَلِطَ الحَقَائِقُ بِسَبَبِهَا.

– قالَ: وَمَا(٤) تِلْكَ الجِهَاتُ؟

– قلتُ: تَفْرِقَةُ الشَّرِّ عَنِ الضَّرَرِ الَّذِي تَتَّصِفُ بِهِ الأَدْوِيَةُ وَالأَشْيَاءُ، فَإِنَّ الضَّرَرَ فِي العُرْفِ أَمْرٌ مُنْتَزَعٌ مِنْ خَاصِّيَّةٍ فِي الشَّيْءِ تُؤَثِّرُ أَثَرًا يُخَالِفُ الصِّحَّةَ كَالسُّمِّ، أَوْ

(١) إنَّ هذا احتجاج علميّ لطيف منه في مواجهة الحجّة بالحجّة، والدليل بالدليل، وإنَّ هذه المقالة منهم باطلة وسبب للعبث في هذا المجال، فإنَّها تفتح الباب أمام كُلِّ مُدَّعٍ لادِّعاء قدسيّة مَن يشاء، ويبثُّ في الناسِ أفكارًا معيّنة لاتِّباعه.

(٢) وهذه مسألة فلسفيّة ناقشها الفلاسفة والمحقّقون من حيث كون الشرّ ذاتيًا في الأشياء، أو عرضيًّا، والأشياء تختلف فيما بينها من حيث الشرّ وعدمه بين الإطلاق، أو النسبية إلى غيره. للتفصيل ينظر: الطباطبائيّ: محمّد حسين: أصول الفلسفة، تق وتع: الشيخ مرتضى المطهريّ، (مؤسّسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، د.مط) ٣/ ٤٣٣-٤٣٧، الطباطبائيّ: الميزان في تفسير القرآن، (مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ) ١٣/ ١٨٣-١٨٥.

(٣) في الأصل: في نفس الأكل.

(٤) في الأصل: (ومن).

يُخَالِفُ الهَيْئَةَ الاجْتِمَاعِيَّةَ كَالحَسَدِ، وَالظُّلْمِ و.. و...

وَيُقَابِلُهُ النَّفْعُ وَهُوَ أَمْرٌ مُنْتَزَعٌ مِنْ خَاصِّيَّةٍ فِي الشَّيْءِ تُؤَثِّر أَثَرًا يُوَافِقُ الصَّحَّةَ كَالمَاءِ، أَوْ يُوَافِقُ نِظَامَ الاجْتِمَاعِ كَالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ و.. و..

وَأَمَّا الشَّرُّ فَقَدْ يُسْتَعْمَلُ وَيُرَادُ بِهِ الضَّرَرَ، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ وَيُرَادُ مِنْهُ إِنْسَان فَاسِدُ الأَخْلاقِ، وَلَهُ اسْتِعْمَالاتٌ أُخَرَ[1].

وَإِنِّي مَا عَرِفْتُ المَقْصُودَ مِنْهُ فِي كَلامِكُمْ، وَلِذَلِكَ مَا تَسَابَقْتُ فِي الحُكْمِ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَهَلْ تَقْصُدُونَ مِنَ الشَّرِّ: (الضَّرَرَ) أَوْ غَيْرَهُ؟

– قالَ: (الضَّرَرَ).

– قلتُ: لا يَشُكُّ أَحَدٌ فِي أَنَّ الأَشْيَاءَ فِيها بِأَنْفُسِهَا خَوَاصُّ طَبِيعِيَّةٌ تُؤَثِّر مِنْ ذاتِهَا ضَرَرًا أَوْ نَفْعًا، فَالنَّارُ مُحْرِقَةٌ، وَالشَّمْسُ مُشْرِقَةٌ، وَالسَّمُّ قَتَّالٌ، وَالمَاءُ رَطِبٌ، وَالزَّيْتُ دَسِمٌ، فَهَذِهِ الخَوَاصُّ مَوْجُودَةٌ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ سَوَاءٌ اسْتَعْمَلَهَا أَحَدٌ أَوْ لا، وَسَوَاءٌ تَعَلَّقَتْ بِجَمَادٍ، أَوْ نَبَاتٍ، أَوْ حَيْوَانٍ، أَوْ إِنْسَانٍ صَغِيرٍ، أَوْ كَبِيرٍ، مُنْحَطٍّ، أَوْ مُقَدَّسٍ.

ثُمَّ إِنَّكُمْ فِي طِبِّكُمْ ومَطْبَخِكُمْ[2] تَتَذَاكَرُونَ عَلَى الدَّوَامِ فِي خَوَاصِّ الأَشْيَاءِ، وَتُسَمُّونَ مِنْهَا ضَارًّا، وَمِنْهَا نَافِعًا، مِنْ دُونِ نَظْرَةٍ إِلَى الإِنْسَانِ المُسْتَعْمِلِ لَهَا.[3]

(١) ينظر: ابن منظور، محمّد بن مكرَّم: لسان العرب، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ)، مادّة(شرر).

(٢) كذا في الأصل.

(٣) إنَّ العلم يشير إلى أنَّ بعض الأمور ضارّة، ولكنّها في الوقت نفسه نافعة لآخرين، وهذا أمر بديهيّ، فالدواء قد يكون ضارًّا قاتلًا لأشخاصٍ، وفي الوقت نفسه يكون علاجًا

– فقالَ: المَقْصُودُ مِنَ الشَّرِّ الخَطِيئَةُ، (كَأَنَّهُ اسْتَدْرَكَ).

– قلتُ: نَعَمْ، يكون المُرَادُ مِنَ الشَّرِّ الخَطِيئَةَ، لَمْ يَكُنْ فِي العَالَمِ شَيْءٌ ذُو خَطِيئَةٍ مِنَ الجَمَادِ، وَالنَّبَاتِ، وَالحَيْوَانِ، غَيْرَ الإِنْسَانِ؛ لأَنَّ الخَطِيئَةَ تَتَوَقَّفُ عَلَى عِصْيَانِ أَحْكَامِ المَوْلَى، وَالعِصْيَانُ فَرْعُ ثُبُوتِ أَحْكَامِهِ وَتَكَالِيفِهِ[١]، وَلا تَكْلِيفَ إِلا عَلَى الإِنْسَانِ القَادِرِ[٢]، فَلا يَكُونُ لِغَيْرِهِ[٣] خَطِيئَةٌ، لَكِنَّنِي أَذْكُرُ مِنْكُمْ كَلامًا قَدْ سَبَقَ وَهُوَ أَنَّ الإِنْسَانَ عُمُومًا مُقَدَّسٌ بِوجُودِ رُوحِ القُدُسِ فِيهِ، فَمِنْ أَيْنَ تَكُونُ لَهُ خَطِيئَةٌ[٤]: سكوت ساد الجميع.

رجعة المهدي ونزول عيسى عليه السلام

– قالَ د. جونس: إِنَّ الشِّيعَةَ يَعْتَقِدُونَ بِرُجُوعِ «المَهْدِيِّ» عليه السلام وَظُهُورِهِ[٥]، وَأَنَّ

لآخرين من الموت، أو الضرر.

(١) تنقسم الأحكام الشرعيّة على أقسام خمسة: الوجوب، والاستحباب، والحرمة، والكراهة، والإباحة، والمعصية تطلق على مخالفة أحكام المولى في قسم الحرمة، من دون قسم الكراهة، فضلًا عن الأقسام الثلاثة الأخرى؛ لأنَّ الحرمة هي الأمر بالترك، وليس كما في الكراهة وهو الحثّ على الترك، ولكنّه قد يطلق على القسمين مسامحة.

(٢) فالعاجز لا تكليف عليه، وإلاّ فهو تكليف بما لا يُطاق، وهذا مرفوض عقلاً، ثمّ شرعًا، والأمثلة في ذلك كثيرة، كسقوط الصوم عن المريض، والحقوق الماليّة عن الفقير، والجهاد عن الضعيف وغيرها من الأمثلة الكثيرة.

(٣) أي غير القادر، وهو المرفوع عنه التكليف أصلاً.

(٤) لطيف جدًّا من السيّد قدس سره هذه الالتفاتة، في إقامة الدليل العقليّ على ذلك، والتذكير به؛ لذلك ساد السكوت عند الجميع لهذا النبوغ منه في قوّة الاستدلال.

(٥) إنَّ هذا السؤال يدلّ على ثقافتهم الدينيّة عن الإسلام عامّة، وعن الشيعة خاصّة، وإنْ كان خروجًا، أو هروبًا من أصل الموضوع في النقاش، أو أنّها موضوعات عامّة في جلسة علميّة عامّة.

«عيسى» عليه السلام يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَيُؤمِنُ بِهِ، وَيُصَلِّي خَلْفَهُ.(١)

– قلتُ: نَعَمْ، وَلا تَخْتَصُّ الشِّيعَةُ بِهَذِهِ العَقَائِدِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ المُسْلِمِينَ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ، وَلا يُفَارِقُونَهُمْ إِلّا فِي جُزْئِيَّاتٍ وَرَاءَ ذَلِكَ.(٢)

---

(١) هناك روايات مُتَعَدِّدَة ذكرت ما يتعلّق بظهور الإمام «المهديّ» عجل الله فرجه وصلاة «عيسى» عليه السلام خلفه، روى الشيخ "الصدوق" بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب "صعصعة بن صوحان": «إنَّ الذي يصلّي عيسى بن مريم خلفه هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن عليّ عليهم السلام». محمّد بن عليّ ابن الحسين: كمال الدين وتمام النعمة، تص وتع: عليّ أكبر الغفاريّ، (مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ١٤٠٥هـ، د.مط) ١/ ٧٨، وفي حديث آخر عن الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام مخاطبًا "أبا أيوب المخزوميّ" في بيان الخلفاء الاثني عشر: «الثاني عشر الذي يصلّي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه، عليك بسنّته والقرآن الكريم». المصدر نفسه ١/ ٣٢٤، وروى "أبو نعيم الأصبهانيّ" عن أبي سعيد الخدريّ عن النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلم: «مِنَّا الذي يُصَلِّي عيسى بن مريم خلفه». الأربعون حديثًا في المهديّ، إخراج وتع: أبو يعلى البيضاويّ، (د.ط، د.مط، د.م، د.ت): ٢٣، وأخرج "السيوطي" عن "الحارث بن أبي أسامة" في مسنده: «ينزل عيسى بن مريم فيقول: أميرهم المهديّ، تعالَ صَلِّ بنا، فيقول: لا، إنَّ بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمّة». وقال: هذا إسناد جيّد. عبد الرحمن بن أبي بكر: العرف الورديّ في أخبار المهديّ، تح: أبو يعلى البيضاويّ، (دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م): ١٨١ وهناك مصادر أخرى للتفصيل ينظر: عبد الرحيم الموسويّ: الإمام المهديّ في روايات أهل السنّة، (مط ليلى، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ): ٤٢-٤٧، مهديّ الفقيه الإيمانيّ: الإمام المهديّ عند أهل السنّة، (مط نكين، قم، ط٢، ١٤١٨هـ١٩٩٨م): ١١-٦٦٢

(٢) ومن هذه الجزئيات على سبيل المثال أنَّ الشيعة تقول: بأنّه الإمام الثاني عشر من أئمّة المسلمين الذين نصّ عليهم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم، وهو ابن الإمام الحادي عشر الحسن بن عليّ العسكريّ عليهما السلام المولود في سامراء في النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ، أمّا العامّة فتقول بأنّه من ولد النبيّ، ولكنّه غير مولود للآن، ويولد آخر الزمان عند ظهوره.

– قالَ: كَيْفَ يَجُوزُ فِي العَقْلِ رُجُوعُهُ بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ؟[١]

– فقلتُ: مِثْلُكُمْ لا يَنْبَغِي أَنْ يَسْأَلَ هَذَا السُّؤالَ، أَوْ يَطْلُبَ تَعْلِيلَ ذَلِكَ بِالعَقْلِ، فَإِنَّكُمْ تَعْتَقِدُونَ نُزُولَ «المسيح» فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِجَسَدِهِ النَّاسُوتِيِّ، فَكَيْفَ جَازَ لَدَيْكُمْ ذَلِكَ عَقْلًا بَعْدَ أَلْفَيْ سَنَةٍ، أَوْ أَكْثَرَ؟

– قالَ: نَعَمْ، يَجُوزُ ذَلِكَ؛ لأَنَّ «المسيحَ» عليه السلام مُقَدَّسٌ، فَلا تُؤَثِّرُ فِي بَدَنِهِ عَوَامِلُ الفَسَادِ، وَغَيْرُ المُقَدَّسِ لا يَكُونُ كَذَلِكَ.

– فقلتُ: اسْمَحُوا لِي بِإِضْفَاءِ جُمَلٍ قَصِيرَةٍ:

١ – إِنَّ الشِّيعَةَ أَيْضًا يَدَّعُونَ العِصْمَةَ وَالتَّقَدُّسَ فِي «المَهْدِيِّ المُنْتَظَرِ»، وَيَحْسَبُونَهُ مِنَ الأَئِمَّةِ الاثْنَي عَشَرَ.[٢]

---

(١) وهذا السؤال مبنيٌّ على قول الشيعة الذي تقول بولادته، وغيبته في سنة ٢٦٠هـ، وابتداء الغيبة الصغرى التي كان يلتقي فيها بسفرائه الأربع، ثمّ الغيبة الكبرى التي ابتدأت عند وفاة السفير الرابع عليّ بن محمّد السمريّ سنة ٣٢٩هـ، وقد أجاب عليّه العلماء في مؤلّفاتهم التي تعلّقت بهذه المسألة، مع بيان أمثلة كثيرة في ذلك، فضلًا عمّا يتعلّق بوجوب التسليم للأمر الإلهيّ الذي يوافق العقيدة.

(٢) وهذه عقيدة ثابتة عند الشيعة، فأمّا من حيث كونه من الأئمّة الاثني عشر فقد وردت روايات كثيرة في ذلك، وتمّ تفصيل ذلك في الموسوعات الحديثيّة بالتفصيل ينظر: لطف الله الصافي: منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

وأمّا من حيث عصمته فهذه عقيدة ثابتة في كون الإمام من هذه الجهة كالنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) يجب أنْ يكون معصومًا، قال الشيخ «محمّد رضا المظفر»: «ونعتقدُ أنَّ الإمامَ كالنبيِّ يجبُ أنْ يكونَ معصومًا من جميعِ الرذائِلِ والفواحشِ، ما ظهرَ منها وما بطنَ، من سِنِّ الطفولَةِ إلى الموتِ، عمدًا وسهوًا، كما يجبُ أنْ يكونَ معصومًا من السهوِ والخطأِ والنسيانِ؛ لأنَّ الأئمةَ حفظةُ الشرعِ، والقوّامونَ عليهِ، حالُهُم في ذلكَ حالُ النبيِّ». عقائد الإماميّة، تح: عبد الكريم الكرمانيّ، (الناشر: مؤسّسة الرافد، بغداد، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، د.مط): ٨٧ وغيرها من المؤلّفات التي أكّدت ذلك.

٢- إِنَّ التَّقَدُّسَ مِنَ الخَطَايَا لا يَمْنَعُ تَأْثِيرَ العَوَامِلِ الطَبيعيَّةِ فِي عَالَمِ الكَوْنِ وَالفَسَادِ، فَإِنَّ الدِّينَ وَالأُمُورَ الرُّوحِيَّةَ تَتَعَلَّقُ بِالعَوَالِمِ الأَدَبِيَّةِ، وَتَهْذِيبِ النَّفْسِ، وَهِيَ خَاضِعَةٌ لِلْعَوامِلِ الطَّبيعِيَّةِ، فَيَمُوتُ الإِنْسَانُ وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا مُقَدَّسًا(١)، وَيَتَمَرَّضُ(٢) وَيَنْعَسُ، وَيَجُوعُ، وَيَعْطَشُ(٣)، أَفَلا تَقْرَؤونَ تَأْرِيخَ «المسيح» عليه السلام وَأَنَّهُ كَانَ يَصْفَرُّ لَوْنُهُ مِنَ الصِّيَامِ جُوعًا وَعَطَشًا(٤)، وَيَخْضَرُّ مِنْ أَكْلِ النَّبَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ(٥)، وَأَعْظَمُ

---

(١) قال تعالى مخاطبًا نبيّه محمّدًا صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ سورة الزمر: الآية ٣٠، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾ سورة آل عمران: الآية ١٨٥، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عليها فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ سورة الرحمن: الآيتان ٢٦-٢٧ وغيرها من الآيات التي تؤكّد هذه الحقيقة البشرية.

(٢) قال تعالى على لسان نبيّه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ سورة الشعراء: الآية ٨٠.

(٣) قال تعالى في المسيح وأمّه عليهما السلام: ﴿مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾. سورة المائدة: الآية ٧٥، وفي ذلك كناية عمَّا يستتبع الأكل والشرب، قال «الدرويش» في بلاغة الآية الشريفة: «كنايةٌ عن أنَّهما صلوات الله عليهما بشرٌ؛ لأنَّ أكلَ الطعامِ يستتبعهُ الهضمَ والنفضَ، فاكتفى بذكرِ أكلِ الطعامِ عن كُلِّ هذا تهذيبًا وتصوُّنًا، وهذا من غريبِ الكناياتِ في اللغةِ العربيّةِ». محيي الدين: إعراب القرآن وبيانه، (مط سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٨هـ) ٢/ ٢٧٥

(٤) لقد ورد أنَّ المسيح عليه السلام صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة، ثم جاع أخيرًا. ينظر: إنجيل متّى٣.

(٥) إنَّ هذا مما اشتهر في سيرة عيسى عليه السلام، فقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «كانَ طعامُ عيسى عليه السلام الباقلي حَتَّى رُفِعَ، ولم يأكل عيسى عليه السلام غيره حَتَّى رُفِعَ، ولم يأكل عيسى عليه السلام شيئًا غيَّرته النارُ». الطبرسيّ، الفضل بن الحسن: مكارم الأخلاق، تح وتق: الشيخ حسين الأعلميّ، (مط مؤسسة الأعلميّ، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م): ١٧٣، وفي حديث: «يا أم أيمن أَمَا علمتِ أنَّ أخي عيسى كان لا يخبىء عشاءً لغداةٍ، ولا غداءً لعشاءٍ، يأكلُ

مِنْهَا أَنَّكُمْ تَعْتَقِدُونَ قَتْلَهُ فِي أَيْدِي اليَهُودِ، بِتِلْكَ الكَيْفِيَّةِ الفَجِيعَةِ[١]، وَتَقْرَؤونَ مَقْتَلَهُ عليه السلام، وَتَبْكُونَ عَلَى مَا أَصَابَهُ، وَقَدِ اتَّخَذْتُمُ الصَّلِيبَ تِذْكَارًا لِوَاقِعَتِهِ[٢]، فَمَنْ جَوَّزْتُمْ عَلَيْهِ هَذِهِ الانْفِعَالاتِ الجِسْمَانِيَّةَ وَأَنَّ تَقَدُّسَهُ لَمْ يَمْنَعْ[٣] هَذِهِ التَّأْثِيراتِ الطَبيعيَّةَ فِيهِ، كَيْفَ تَقُولُونَ بِأَنَّهُ بَاقٍ وَسَيَعُودُ بِجَسَدِهِ النَّاسُوتِيِّ مِنْ دُونِ أَنْ يَخْضَعَ جَسَدَهُ لِلْفَوَاعِلِ الكَوْنِيَّةِ، (لَسْتُ أَنَا الآنَ فِي صَدَدِ إِبْطالِ هَذِهِ القَضِيَّةِ وَلَكِنَّنِي أَذْكُرُها نَقْضًا عَلَى مَا أَسْلَفْتُمُوهُ).[٤]

من ورقِ الشجرِ....». المتقيّ الهنديّ، علاء الدين عليّ المتقيّ بن حسام الدين: كنز العمال في السنن والأقوال والأفعال، تص: الشيخ صفوت السقا، (مط مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، د.ط)، ١١/ ٥٠٤ الحديث(٣٢٣٥٨).

(١) قال الدكتور «أحمد شلبي»: «إنَّ عيسى عندهم [أي اليهود] -إنْ صحّ وجوده- رجل عادي كفر بدعوتهم فقتلوه.... فهذا رجل انشقَّ فعاقبوه بالقتل، ولا يستحقّ بعد ذلك أيّ ذكر، ويقول الدكتور إسرائيل ولفنسون: إنَّ مسألة قتل المسيح موجودة في التلمود، ولكن اليهود أخرجوها حَتَّى لا يعثر عليها أحد من الأمم المَسِيحيَّة التي كان يقيم بها اليهود». موسوعة مقارنة الأديان(المَسِيحيَّة) ٢/ ٦٩.

(٢) إنَّ المتعارف بين الناس أنَّ حمل الصليب دلالة على صلب المسيح عليه السلام، وأصبح رمزًا عالميًّا للإيمان المسيحيّ؛ لأنه يذكِّرهم بأهم شيء وأعجب حادثة في سيرة المسيح، ولكن هو في الواقع علامة للاستهانة بالدنيا، والاستعداد للموت، والمسيح كان قد أمر أتباعه بحمله قبل صلبه، كما روي عن «لوقا» ونسبه للمسيح: «إنْ أرادَ أحدٌ أنْ يأتيَ ورائي فلينكِرْ نفسَهُ، ويحملْ صليبَهُ كُلَّ يومٍ، ويتبعني». كتاب العهد الجديد لربّنا ومخلصنا يسوع المسيح(إنجيل لوقا)، الإصحاح التاسع، لوقا ٢٣، ص١١٠، وينظر: إنجيل متى، الإصحاح السادس عشر، متّى ٢٤، ص٤٠، موسوعة الكتاب المقدّس: ١٩٧.

(٣) في الأصل: لم يقنع.

(٤) إنَّ في ذلك إشارة ودلالة على إحاطته بمعتقداتهم، فضلاً عن إمكانياته العلميّة

فتناجيا «جونس» و«جورج ويلديل ستانلي» بالإنكليزيّةِ طويلًا حَتَّى فرغا[١].

– ثمّ قلتُ: لَوْ كَانَ تَقَدُّسُ الإِنْسَانِ مِنَ الخَطَأِ سببًا لِتَقَدُّسِ بَدَنِهِ عَنِ الفَسَادِ، وَتَنَزُّهِهِ مِنَ العَوامِلِ الطَّبيعيَّةِ، لَزِمَ أَنْ لا يَتَأَثَّرَ الطِّفْلُ مِنْهَا؛ إِذْ لا خَطِيئَةَ لَهُ، وَلا سيَّمَا بَعْدَ التَّعْمِيدِ الَّذِي يَغْفِرُ لَهُ الخَطِيئَةَ السَّارِيَةَ إِلَيْهِ مِنْ «آدمَ»[٢]، مَعَ أَنَّا نَجِدُ الأَطْفَالَ أَسْرَعَ تَأَثُّرًا مِنْ عَوَامِلِ الفَسَادِ.

– قالَ: لَيْسَ الطِّفْلُ مُقَدَّسًا؛ لأَنَّ خَطِيئَةَ أُمِّهِ وَأَبِيهِ تَسْرِي فِيهِ، فَيَصيرُ خَاطِئًا بِالمَعْصِيَةِ.[٣]

على إبطالها، وعدم حديثه قدس سره في هذا الموضوع التفاتة لطيفة خوف تشتت أصل الموضوع، ووحدته الموضوعيّة في المحاججة، وهذه مسألة مهمّة يجب الاعتناء بها عند المحاججة في عدم التفرُّع للموضوع الرئيس الذي قام الحِجاج على أساسه.

(١) في الأصل: فرغوا

(٢) إنّ التعميد من العقيدة الأساسية عند المسيحيين وتتفق عليه كُلُّ فرقها، وهو كما ذكره «أحمد شلبي» عن «زكي شنودة» في كتابه «تاريخ الأقباط»: «فريضةٌ مقدّسةٌ يشارُ إليها بالغسلِ بالماءِ باسمِ الرَّبِّ والابنِ والروحِ القدسِ إلى تطهيرِ النفسِ من أدرانِ الخطيئةِ بدمِ يسوعِ المسيحِ، وهي ختمُ عهدِ النعمةِ» موسوعة مقارنة الأديان(المَسِيحيَّة) ٢/ ١٤٧، بل هو«يمحي الخطيئةَ الأصليةَ في النفسِ، وتلدُها ثانيةً». المصدر نفسه.

(٣) وهذا مخالف للعقل والشرع، فلماذا تقع جريرةُ فعلٍ على آخر لم يفعله ويتحمّل عنه العقوبة، فكُلُّ إنسان يحاسب على عمله الخاص به، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ سورة الإسراء: الآية ٧، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ سور الطور: الآية ٢١، وغيرهما من الآيات الشريفة التي تقرر ذلك، فكُلُّ فاعل يتحمَّلُ آثار فعله صحيحًا كان أو فاسدًا، وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ

– فالتفتَ إليهِ حضرةُ السـيّد(كـ).. مهديّ جمال الدين الهنديّ(وهو من علماء النجـف الأجلاء)[١] وقالَ لـه: لَوْ أَثَّرَتْ خَطِيئَةُ الْأُمِّ فِي الابْنِ، لَـزَمَ عَلَى قَوْلِكَ أَنْ يَكُونَ «المسـيحُ» عليه السلام أَيْضًا مُخْطِئًا غَيْرَ مُقَدَّسٍ؛ لأَنَّ أُمَّهُ السَّيِّدَةَ «مريمَ» عليها السلام لَيْسَتْ عِنْدَكُمْ بِمُقَدَّسَةٍ، فَتَسْرِي خَطِيئَتُهَا فِي ابْنِهَا «عيسى» عليه السلام.

– ثم قلتُ للدكتور «جونس»: لَوْ كَانَ تَقَدُّسُ الإِنْسَـانِ مِنَ الخَطَايَا مَانِعًا مِنْ غَلَبَـةِ النَّوَامِيسِ الطَّبيعيَّةِ، لَزَمَ أَنْ لا يَفْسَـدَ شَيْءٌ مِنَ الحَيْوانَـاتِ العُجْمِ وَالبَهَائِمِ؛ لأَنَّهَـا لا تَرْتَكِـبُ خَطِيئَةً، وَلا تَعْصِي، وَلا تَسْـرِي فِيهَا خَطِيئَـةُ «آدمَ» عليه السلام مَعَ أَنَّا نَرَاهَا أَخْضَعَ لِسُـلْطَةِ الطَّبيعة كَوْنًا وَفَسَادًا مِنَ الإِنْسَـانِ، وَالإِنْسَانُ بِقُوَّتِهِ العلميَّةِ وَالعَمَلِيَّةِ أَقْدَرُ عَلَى مُدَافَعَةِ المَضَارِّ مِنَ الحَيْوَانَاتِ الأُخَر.

– قالَ: إِنَّ الحَيْوَانَاتِ أَيْضًا فِي خَطِيئَةٍ؛ لأَنَّ بَعْضَهَا يَظْلِمُ البَعْضَ فِي حَوَائِجِهِ.

– قلتُ: نَفْرِضُ حَيْوَانًا مُنْفَرِدًا فِي جَزِيرَةٍ.

– قالَ: أَفَيَأْكُلُ مِنَ الأَشْجَارِ وَيَقْتَاتُ النَّبَاتَ أَوْ لا ؟

– قلتُ: نَعَمْ، بِالضَّرُورَةِ.

نَفْسٍ إِلَّا عليها وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

(١) أظنّ أنّه السـيّد «كلـب مهديّ»، وهو من تلامذة الآخوند الخراسـانيّ، والسـيّد محمّد كاظم الطباطبائيّ اليزديّ، اشـتغل بالتدريس في كربلاء المقدّسـة، وكان إمامًا للجماعة في الصحن الحسينيّ الشـريف توفي سنة(١٣٤٩هـ). المرعشـيّ النجفيّ، شهاب الدين: الإجازة الكبيرة، (مط ستارة، قم، ط١، ١٤١٤هـ): ١٢٨.

إنَّ السـيّد الشهرسـتانيّ كانت له وجهة نظر على هذه الأسماء(كلب مهدي، كلب حسين..) كمـا قرأت ذلك في إحدى أوراقـه المخطوطة عند توثيقه لمحادثته مع بعض معارفه في الهند، فكان يستنكر ذلك عليهم؛ ولذا لم يذكر ذلك عند كتابته لاسمه كما أظن.

– قالَ: فَهُوَ ظَالِمٌ عَلَى النَّبَاتِ، وَبِذَلِكَ يَصِيرُ مُخْطِئًا غَيْرَ مُقَدَّسٍ.(١)

– قلتُ: أَفَلَمْ يَكُنْ «عيسى» عليه السلام يَقْتَاتُ النَّبَاتَ، وَيَأْكُلُ مِمَّا نَأْكُلُ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُعَدّ ظَالِمًا، وَكَانَ مُقَدَّسًا بِتَمَامِ مَعْنَى الكَلِمَةِ، وَأَيْضًا مَا تَقُولُونَ فِي النَّبَاتِ هَلْ يَظْلِمُ أَحَدًا؟ أَوْ يُخْطِيءُ، مَعَ أَنَّهُ يَفْسَدُ بِفَوَاعِلِ الطَّبِيعَةِ وَيَتَغَيَّرُ.

– قالَ: نَعَمْ، النَّبَاتُ أَيْضًا مُخْطِئٌ.

– قلتُ: يَا سُبْحَانَ اللهِ وَلِمَاذَا؟

– قالَ: لأَنَّهُ يُفِيدُ الحَيْوَانَ وَالإِنْسَانَ فِي المَأْكَلِ وَالمَلْبَسِ وَغَيْرِهِمَا، مَعَ أَنَّهُمَا ظَالِمَانِ خَاطِئَانِ، وَمَنْ أَفَادَ خَاطِئًا، أَوْ أَعَانَ ظَالِمًا، كَانَ مُخْطِئًا غَيْرَ مُقَدَّسٍ.(٢)

– قلتُ: إِذَنْ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ «المسيحُ» عليه السلام أَيْضًا مُخْطِئًا غَيْرَ مُقَدَّسٍ (والعياذُ باللهِ)؛ لأَنَّكُمْ تَقُولُونَ وَتَكْتُبُونَ عَنْهُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَفَادَ البَشَرَ، وَآخِرُ مَنْ يُفِيدُهُمْ،

---

(١) لا يخفى على القارىء هذه المكابرة والمغالطة في الاستدلال والدفاع عن الآراء الضعيفة، فهذه مصادرة لنواميس الطبيعة التي جعلت بعض الموجودات مسخّرة لغيرها على وفق طبيعة الخليقة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ سورة الجاثية: الآية ١٣، فلو لم يكن هذا التسخير لغاية الإفادة منه فما الغرض من خلقه؟ وإذا كانت الإفادة منه تعدّ خطيئة، فالله تعالى قد أجبر المخلوقات على الخطايا؛ لأنّها بطبيعتها تحتاج إلى ما يحافظ على وجودها وحياتها نحو الأفضل!!

(٢) إنَّ هذه المقالات واضحة البطلان لمخالفتها لبديهيات الأمور العقليّة، التي اتفقَ وتسالَمَ العقلاءُ عليها، بل إنّها إفراط في التفكير من أجل الدفاع عن فكرةٍ معينةٍ لا يمكن أنْ تطبَّقَ في الواقع وتستحيل، فعلى أساس ذلك فكُلُّ ما في هذا الوجود هو مخطىءٌ؛ لأنّه يحتاج إلى غيره.

وَأَنَّهُ فَدَى نَفْسَهُ لِلنَّاسِ حَتَّى يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ خَطِيآتهم جَمِيعًا، وَتُسَمُّونَهُ(الفادي)[١]، فَهُوَ يُفِيدُ البَشَرَ الظَّالِمَ الخَاطِئَ أَكْثَرُ مِنْ إِفَادَةِ النَّبَاتِ بِمَا لا يُقَاسُ، وَمَعَ ذَلِكَ لا تَتْلِمُونَ تَقَدُّسَهُ، وَأَعْظَمُ مِنْهُ إِفَادَة لِلنَّاسِ هُوَ المَوْلَى، وَهُوَ فِي مُنْتَهَى القُدْسِ.

– فجعلَ د. «جونس» يناجي البقيَّةَ بالإنكليزيةِ مُدَّةً ثُمَّ سَكَتُوا، وَسَكَتْنَا طَوِيلًا، وَجَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بَيْنَنَا مَظَاهِرُ الأُلْفَةِ وَالعَطُوفَةِ، وَتَفَرَّقَ الجَمِيعُ مُسْتَأْنِسِينَ مُسْتَبْشِرِينَ.

وَذَكَرْتُ هَؤلاءِ الدَّكَاتِرَةَ الكِرَامَ بِالخَيْرِ وَالمَدْحِ مِرَارًا[٢]؛ لأَنَّهُمْ يَبْذِلُونَ تَمَامَ

---

(١) وهذه من العقائد الراسخة عندهم في فداء عيسى عليه السلام للجناة والعصاة من الناس، ومما ذُكِرَ في ذلك عنهم: «وعقابُ الخطيئةِ هو الموتُ في جهنمَ إلى الأبدِ؛ لأنَّ المولى سبحانه وتعالى قدوسٌ طاهرٌ، وعدلُهُ يستلزمُ عقابَ الخطيئةِ بهذهِ الكيفيةِ، فالمسيحُ احتملَ في جسدهِ ما كُنَّا نستوجبهُ من العقابِ، ووفَّى ما كانَ علينا من الدينِ» البلاغيّ، الهدى إلى دين المصطفى، ١/ ٣٣١.

وفي نصٍّ ثانٍ ذكر الشيخ البلاغيّ: «إنَّ الكلمةَ الأزليّةَ أو ابنَ اللهِ بموتهِ وَفَّى للعدلِ الإلهيِّ حَقَّهُ». المصدر نفسه، وفي نصّ ثالث: «إنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى أظهرَ رحمتَهُ ومحبَّتَهُ بتجسُّدِ الكلمةِ الأزليّةِ، فلبسَ هذا الجسدَ، وكانَ يلزمُ أنْ يكونَ الفادي طاهرًا قدوسًا منزهًا عن النقصِ؛ حَتَّى يفيَ للعدلِ الإلهيِّ حَقَّهُ، ويخلصَ الخُطاةَ، فالمسيحُ «يسوع» قامَ بهذا الأمرِ، وَقَدَّمَ نفسَهُ فداءً عَنَّا، فالعدلُ الإلهيُّ كانَ يستوجِبُ عقابَنا وموتَنا «أي في جهنمَ النارِ إلى الأبدِ» فماتَ الفادي الكريمُ عوضًا عَنَّا، وَوَفَّى للعدلِ الإلهيِّ حَقَّهُ». المصدر نفسه. وقد أفاض الدكتور «أحمد شلبي» حول هذه العقيدة. للتفصيل ينظر: موسوعة مقارنة الأديان(المَسِيحيَّة) ٢/ ١٣٥-١٤٢، موسوعة الكتاب المقدّس: ٢٢٨، الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٦١١.

(٢) إنَّ هذه أخلاق العلماء التي يجب أنْ يكونوا عليها، فعلى الرغم من بطلان عقيدتهم، وضعف حججهم التي يستندون إليها، فهذا لا يدعو إلى التنافر والتنابز بالألقاب، بل

جُهدِهِمْ فِي مُعالَجَةِ المَرْضَى وَالمُصابينَ وَلَوْ مَجّانًا، وَلَهُمْ أَيادٍ بَيْضاءُ فِي خُطَّتِهِمْ، وَلَقَدْ شاهَدْتُ مِنْهُمُ الاهْتِمامَ فِي أَدَاءِ وَظائِفِهِمْ، وَتَنْبيهَ الغافِلينَ، وَالنَّصيحَةَ، وَالدَّعْوَةَ إِلَى الدِّيانَةِ المَسيحيَّةِ عِنْدَ اجْتِماعِ المَرْضَى وَغَيْرِهِمْ، حَتَّى أَنَّهُمْ كَتَبُوا عَلَى جُدْرانِ المُسْتَشْفَى: (آمِنْ بِالرَّب اليَسوع يُنْجِكَ وَأَهْلَكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ)، وَقَدْ كانُوا دائِبينَ فِي هَذِهِ الوَظائِفِ فِي بَغْدادَ مُنْذُ سِنينَ طَويلَةٍ، وَيُباشِرُونَ المَرْضَى بِمُداراةٍ كامِلَةٍ، وَقَدْ عَزَمُوا عَلَى شِراءِ جُنَيْنَةٍ[1] عَلَى ضِفافِ دِجْلَةَ بِأَلْفَيْ لِيرَةٍ عُثْمانِيَّةٍ لِيَجْعَلُوها المُسْتَشْفَى الوَحيدَ فِي القُطْرِ العِراقِيِّ، إِلّا أَنَّ الحُكُومَةَ العُثْمانِيَّةَ ما تَسَرَّعَتْ حَتَّى الآنَ إِلَى قَبُولِ ذَلِكَ.

فَيَسَّرَ المَوْلَى لِطُلّابِ الخَيْرِ كُلَّ عَسيرٍ، وَقابَلَ أَهْلَ المَعْرُوفِ بِكُلِّ جَميلٍ، وَهُوَ الهادِي إِلَى سَواءِ السَّبيلِ.[2]

الدعوة بالحسنى امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾ سورة النحل: الآية ١٢٥.

(١) أي بستان، فالبستان هو الذي فيه نخيل متفرقة يمكن الزراعة بينها، وإنْ لم يمكن فهي حديقة. ينظر: المعجم الوسيط (البستان).

(٢) إنَّ السيّد يدعو لأهل الخير مطلقًا أنْ يجازيهم على خيرهم، وفي ذلك كمال الخلق والإحسان لأهل الإحسان على أفعالهم.

هذا آخر ما حاولت بيانه وأنا العبد الذليل الحقير في التعليق على هذه المخطوطة القيّمة، المباركة، المهمّة بمباحثها الفلسفيّة والعقليّة الموجزة، لشيخنا العلّامة المصلح السيّد «هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ» قدس سره، وقد تمّ ذلك في مكتبته العامرة «مكتبة الجوادين العامّة» في الصحن الكاظمي الشريف بجوار الإمامين الكاظمين عليهما السلام، في الثالث عشر من رجب الحرام سنة ١٤٣٧هـ، ذكرى ولادة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أسأله تعالى أنْ يتقبلها بقبول حسن.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولًا: الكتب:

١. بدوي، عبد الرحمن بدوي(ت١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م): موسوعة الفلسفة، (مط سليمان زادة، قم، ط١، ١٤٢٧هـ).

٢. البلاغيّ، محمّد جواد(ت١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م): التوحيد والتثليث، (دار المؤرخ العربيّ، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م).

٣. ---، الهدى إلى دين المصطفى، (مؤسسة الأعلميّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م).

٤. البهادليّ، محمّد باقر: السيّد هبة الدين الشهرستانيّ آثاره الفكرية ومواقفه السياسيّة، (مط دلتا، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م).

٥. جميل صليبا(الدكتور): المعجم الفلسفيّ، (دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، ١٩٨٢م، د.ط).

٦. الحسينيّ، جعفر: مصطلحات المنطق، (مط بقيع، ط١، د.ت، د.م).

٧. الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، د.ط).

٨. الخوئيّ، أبو القاسم بن علي أكبر(السيّد)(ت١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م): البيان في تفسير القرآن، (مط العمال المركزيّة، بغداد، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، د.ط).

٩. الدرويش، محيي الدين(١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م): إعراب القرآن وبيانه، (مط سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٨هـ).

١٠. الزمخشريّ، جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الكشاف)، تح: عبد الرزاق المهديّ، (دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م).

١١. الزيّات، أحمد وآخرون: المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربيّة في مصر، (مط المكتبة الإسلاميّة، د.ط، د.ت، د.م).

١٢. الزيّات، عبد الفتاح حسين: ماذا تعرف عن المَسِيحيَّة، (مركز الراية للنشر والإعلام، ط٣، ٢٠٠١م، د.م، د.مط).

١٣. السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م): العرف الورديّ في أخبار المهديّ، تح: أبو يعلى البيضاويّ، (دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م).

١٤. الشريف الجرجانيّ، عليّ بن محمّد (ت٨١٦هـ/ ١٤١٣م): التعريفات، (الخيريّة، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ).

١٥. شلبي، أحمد (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م): موسوعة مقارنة الأديان (المَسِيحيَّة)، (مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ط٤، ١٩٧٣م).

١٦. الشهرستانيّ، هبة الدين الحسينيّ (ت١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م): المعجزة الخالدة، (مط الميناء، بغداد، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، د.ط).

١٧. الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحسين (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م): كمال الدين وتمام النعمة، تص وتع: عليّ أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٥هـ، د.مط).

١٨. الطباطبائيّ، محمّد حسين(ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢): أصول الفلسفة، تح وتع: الشيخ مرتضى المطهري، (مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، د.مط).

١٩. ---، بداية الحكمة، تح: عبّاس عليّ الزراعيّ السبزواريّ، (الناشر مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١٨هـ، د.ط، د.مط).

٢٠. ---، نهاية الحكمة، تص وتع: الشيخ عبّاس عليّ الزارعيّ السبزواريّ، (مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم، ط١٤، ١٤١٧هـ).

٢١. ---، الميزان في تفسير القرآن، (مؤسسة الأعلميّ، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ).

٢٢. الطبرسّي، رضي الدين أبو نصر الفضل بن الحسن(ق٦هـ)، مكارم الأخلاق، تح وتق: الشيخ حسين الأعلميّ، (مؤسسة الأعلميّ، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م).

٢٣. الطهرانيّ، محمّد محسن «آقا بزرك»(ت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م): الذريعة إلى تصانيف الشيعة، تح: عليّ نقي منزوي، (مط الآداب، النجف، ١٩٦٨م، د.ط).

٢٤. الطوسيّ، محمّد بن الحسن(ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م): الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، (مط الخيام، قم، ١٤٠٠هـ، د.ط).

٢٥. عادل درويش: الكنيسة أسرارها وطقوسها، (دار ابن حزم، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م).

٢٦. العاتي، إبراهيم: محاضرات في الأديان والمذاهب، (الناشر: الجامعة العالميّة للعلوم الإسلاميّة، ط١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، د.مط، د.م).

٢٧. عبد الرحيم الموسويّ: الإمام المهديّ في روايات أهل السُّنّة، (مط ليلى، قم، ط٢، ١٤٢٦هـ).

٢٨. العلّامة الحلّيّ، الحسن بن يوسف(ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م): كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تح: الشيخ حسن زاده آملي، (مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم، ط٧، ١٤١٧هـ).

٢٩. العهد الجديد لربّنا ومخلصنا يسوع المسيح(إنجيل لوقا)، إنجيل متّى.

٣٠. الكاظميّ، عماد: الدور الرساليّ للصحافة النجفيّة في نشر الثقافة الإسلاميّة(مجلّة العلم إنموذجًا)، (الناشر: معالم الفكر، بيروت، ط١، ٢٠١٥م).

٣١. الكاظميّ، عماد: علوم القرآن الكريم في مخطوطات السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، (الناشر:مركز تراث كربلاء، العتبة العباسية المقدسة، ط١، ٢٠١٧م).

٣٢.، فهرس مخطوطات السيّد هبة الدين الحسينيّ الشهرستانيّ، (مكتبة الجوادين العامّة، الكاظمية، ط١، ٢٠١٠م).

٣٣. لطف الله الصافي: منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام، (مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

٣٤. المتّقيّ الهنديّ، علاء الدين عليّ المتّقيّ بن حسام الدين(ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م): كنز العمال في السنن والأقوال والأفعال، تص: الشيخ صفوة لسقا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م، د.ط).

٣٥. آل محبوبه، جعفر باقر(ت١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م): ماضي النجف وحاضرها، تص: محمّد سعيد آل محبوبه، تق: محمّد رضا الشبيبيّ، (دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م).

٣٦. المرعشيّ النجفيّ، شهاب الدين: الإجازة الكبيرة، (مط ستارة، قم، ط١، ١٤١٤هـ).

٣٧. المظفر، محمّد رضا: عقائد الإماميّة(١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م)، تح: عبد الكريم الكرمانيّ، (الناشر مؤسّسة الرافد، بغداد، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، د.مط).

٣٨. المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان(ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م): تصحيح اعتقادات الإماميّة، تح: حسين دركاهي، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م).

٣٩. ابن منظور، محمّد بن مكرَّم(ت٧١١م/ ١٣١١م): لسان العرب، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ).

٤٠. مهديّ الفقيه إيمانيّ: الإمام المهديّ عند أهل السُّنّة، (مط نكين، قم، ط٢، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م).

٤١. أبو نعيم الأصبهانيّ، أحمد بن عبد الله بن أحمد(ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م): الأربعون حديثًا في المهديّ، إخراج وتع: أبو يعلى البيضاويّ، (د.ط، د.مط، د.م، د.ت).

٤٢. موسوعة الكتاب المقدّس، (دار منهل الحياة، لبنان، ١٠٠٣م).

ثانيًا: المجلّات

- العلم، النجف الأشرف، ١٩١١م، السنة الثانية، العدد التاسع.

- المنار، مصر، ١٩١١م، المجلد ١٤، الجزء ١٢.

- الموسم، هولندا، السنة٢٠٠٧م، العددان ٦١-٦٢.